

دَفْتَرُ الْاَلِفِ الْكَمِيَةِ  
الْاَلِفِ الْاَسْمَاءِ الْاَكْبَرِ الْاَكْبَرِ الْاَكْبَرِ

تأليف

شیخ الاسلام الامام ابو الفتح محمد بن عبد البر بن عوف بن یونس بن عیینہ

(۶۶۱ - ۷۲۸ھ = ۱۲۶۳ - ۱۳۲۸م)

تحقیق و تعلق

الدكتور عبد الغنى عبد الحميد

عن بشره

الدائرة الإسلامية للدراسات والبحوث

بومباي الهند



حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الاولى.

١٤٠٧ هـ . ١٩٨٦ م

الدار السلفية

٦/٨ اى - حضرت تيرس انيكس

شارع شيخ حفيظ الدين

بومباى - ٤٠٠ ٠٠٨ الهند

هاتف : ٣٧٧٧٥٥ - ٣٩٦٧٤٧

تلكس : ٧٦٨٣٢ - ١١ . سلفان

برقيا : «السلفية»

**AL - DARUSSALAFIAH**

6/8 - A, HAZRAT TERRACE ANNEXE,

SHAIKH HAFIZUDDIN ROAD

BYCULLA BRIDGE, BOMBAY - 400 008

TELEX . 011 76832 SALF IN

GRAM : «ALSALAFIAH»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سم الله الرحمن الرحيم

## كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المسلمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

يسعدنا ان تقدم للقراء تحفة نادرة من درر مؤلفات شيخ الاسلام احمد بن عبدالحليم — ابن تيمية رحمه الله تعالى — وهى تفسير الآية الكريمة «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» التى قال فيها النبي ﷺ انها «دعوة اخى ذى النون . مادعاها مكروب الآ فرج الله كربته» .

وكلام شيخ الاسلام ردة لسؤال وجهه اليه بعض الناس وكان السؤال يتضمن الاستيضاح عن ثمانى نواح تتعلق بهذه الآية وهى :

- ١ — ما معنى هذه الدعوة ؟
- ٢ — لم كانت كاشفة للضر ؟
- ٣ — هل لها شروط باطنة عند النطق بلفظها ؟
- ٤ — كيف مطابقة اعتقاد القلب لمعناها حتى يوجب كشف ضره ؟
- ٥ — ما مناسبة ذكره «انى كنت من الظالمين» مع ان التوحيد يوجب كشف الضر ؟

٦ — هل يكفي المذنب اعترافه بالذنب ام لابد من التوبة والعزم في المستقبل ؟

٧ — ماهو السرّ في ان كشف الضرّ وزواله يكون عند انقطاع الرجاء عن الخلق والتعلق بهم ؟

٨ — ما الحيلة في انصراف القلب عن الرجاء للمخلوقين والتعلق بهم بالكلية وتعلقه بالله تعالى ورجائه وانصرافه اليه بالكلية ؟ وما السبب المعين على ذلك ؟

وقد وضح شيخ الاسلام كل واحدة من هذه النقاط توضيحاً كاملاً ، وافاد واجاد . وتتجلى فيه خاصية اسلوبه الممتاز في الجدل والنقاش وهي كثرة الاستدلال بآيات القرآن وسردها لتدعيم مايقول ، والتركيز على مبدأ التوحيد .

والدار السلفية اذتقدم هذا الكتيب المفيد تريد ان تؤكد لقرائها الكرام انها تحاول بكل مالدبيها من الوسائل ان تزود المكتبة العربية والاسلامية بالكتب الدينية المفيدة وبخاصة من كتب تراث سلفنا الصالح اسهاما منها في نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة . وندعوالله تبارك وتعالى ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه ويوفقنا لمزيد من الاعمال النافعة ويقبلها منا .

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

وصلى الله على النبي الكريم .

الراجى عفو ربه  
مختار احمد الندوى  
الرئيس العام  
لدار السلفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سئل شيخ الاسلام

ابن تيمية — قدس الله روحه — عن قول النبي ﷺ :

« دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ »<sup>(١)</sup>

مامعنى هذه الدعوة ؟ .

ولم كانت كاشفة للكرب ؟

وهل لها شروطٌ باطنية عند النطق بلفظها ؟

وكيف مطابقة اعتقاد القلب لمعناها ، حتى يُوجِبَ كشفَ ضره ؟

ومامناسبة ذكره : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ مع ان التوحيد  
يوجب كشف الضر ؟

وهل يكفيه اعترافه ام لا بد من التوبة والعزم في المستقبل ؟

---

(١) الحديث اخرجه احمد (١٧٠/١) والترمذى (٥٢٩/٥) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦)

والحاكم فى «المستدرک» (١/٥٠٥، ٢/٣٨٣) من حديث سعد بن ابى وقاص .

واخرجه البيهقى فى «شعب الايمان» (رقم ٦٠٦ بتحقيقنا) وانظر تحريجه هناك .

وما هو السرُّ في أنّ كشفَ الضّرِّ وزواله يكون عند انقطاع الرّجاء عن الخلق والتعلق بهم ؟

وما الحيلة في انصراف القلب عن الرّجاء للمخلوقين والتعلق بهم بالكلية وتعلقه بالله تعالى ورجائه وانصرافه اليه بالكلية ، ما السبب المعين على ذلك ؟ .

﴿ فأجاب ﴾ الحمد لله رب العالمين .

## معنى الدعاء

لفظ « الدعاء والدعوة » في القرآن يتناول معنيين :

دعاء العبادة .

ودعاء المسألة .

قال الله تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>

وقال تعالى :

---

(٢) سورة الشعراء (٢١٣/٢٦) .

(٣) سورة المومنون (١١٧/٢٣) .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(٤)</sup>

وقال :

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ  
لِبَدًا ﴾<sup>(٥)</sup>

وقال :

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا  
شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾<sup>(٦)</sup>

وقال تعالى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ  
لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِينِهِ إِلَى الْمَاءِ  
لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾<sup>(٧)</sup>

وقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>

وقال في آخر السورة :

﴿ قُلْ مَا يَغْبُونَ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾<sup>(٩)</sup>

(٤) سورة القصص (٨٨/٢٨) .

(٥) سورة الجن (١٩/٧٢) .

(٦) سورة النساء (١١٧/٤)

(٧) سورة الرعد (١٤/١٣)

(٨) سورة الفرقان (٦٨/٢٥)

(٩) ايضا (٧٧/٢٥)



﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ  
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾<sup>(١٤)</sup>

## ( المسألة والعبادة )

وكل سائلٍ راغبٍ راهبٍ فهو عابدٌ للمسئول ، وكل عابد له فهو ايضا راغبٍ وراهبٍ يرجو رحمته ويخافُ عذابه ، فكل عابد سائلٍ وكل سائلٍ عابد . فأحد الاسمين يتناولُ الآخرَ عند تجرُّده عنه ، ولكن إذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلبُ جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب . ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الأمر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال .

## ( الخوف والرجاء )

والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف ، راغب راهب : يرغب في حصول مراده ، ويهرب من فواته . قال تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا  
وَرَهْبًا ﴾<sup>(١٥)</sup>

وقال تعالى :

---

(١٤) سورة البقرة (١٨٦/٢)

(١٥) سورة لانبيا (١٠/٢١)

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾<sup>(١٦)</sup>

ولا يتصور ان يخلوا داع الله — دعاء عبادة او دعاء مسألة — من  
الرجب والرهب ، من الخوف والطمع .

وما يذكر عن بعض الشيوخ انه جعل الخوف والرجاء من مقامات  
العامة ، فهذا قد يفسر مراده بان المقرّبين يريدون وجه الله فيقصدون  
التلذذ بالنظر اليه . وان لم يكن هناك مخلوق يتلذذون به ، وهؤلاء  
يرجون حصول هذا المطلوب ويخافون حرمانه ، فلم يخلوا عن الخوف  
والرجاء لكن مرجوهم ومخوفهم بحسب مطلوبهم .

ومن قال من هؤلاء :

« لم أعبدك شوقاً الى جنّتك ولا خوفاً من نارك »

فهو يظن ان الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات ، والنار اسم لما  
لا عذاب فيه الا المخلوقات ، وهذا قصورٌ وتقصيرٌ منهم عن فهم مسمى  
الجنة ، بل كل ما عده الله لأوليائه فهو من الجنة ، والنظر اليه هو من  
الجنة ، ولهذا كان افضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار ، ولما  
سأل بعض اصحابه عما يقول في صلاته قال :

انى اسأل الله الجنة واعوذ بالله من النار ، اما انى لأحسِنَ دُنْدَتَكَ  
ولأَدْنَنَةَ معاذ فقال :

« حَوْلَهَا نُدْنِدِنُ »<sup>(١٧)</sup>

(١٦) سورة السجدة (١٦/٣٢)

(١٧) أخرجه ابن ماجة في الاقامة (١/٢٩٥ رقم ٩١٠) وفي الدعاء (٢/١٢٦٤ رقم ٣٨٤٧) وابن خزيمة في  
«صحيحه» (١/٣٥٨ رقم ٧٢٥) من حديث ابي صالح عن ابي هريرة .

وأخرجه ابوداود في الصلاة (١/٥٠١ رقم ٧٩٢) واحمد في «المسند» (٣/٤٧٤ ، ٧٤/٥) فلم يذكر  
الصحابي .

وقد انكر على من قال هذا الكلام يعني اسألك لذة النظر الى وجهك<sup>(١٨)</sup> فريق من اهل الكلام ، ظنوا ان الله لا يتلذذ بالنظر اليه ، وانه لانعم الا بمخلوق . فغلط هؤلاء في معنى الجنة كما غلط اولئك ، لكن اولئك طلبوا ما يستحق ان يطلب ، وهؤلاء انكروا ذلك .

## ( العزائم تنفسخ عند وجود الحقائق )

واما التألم بالنار فهو امر ضروري ، ومن قال : لو ادخلني النار لكنت راضياً ، فهو عزم منه على الرضا ، والعزائم قد تنسخ عند وجود

(١٨) اخرج النسائي في كتاب السهو من «المجتبى» (٥٤/٣) عن يحيى بن حبيب بن عربي قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا عطاء بن السائب عن ابيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها ، فقال له بعض القوم لقد خففت او أوجزت الصلاة ؟ فقال : أنا على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتن من رسول الله ﷺ فلما قام تبعه رجل من القوم — هو ابي غير انه كنى عن نفسه — فسأله عن الدعاء ثم جاء فاخبر به القوم .

« اللهم بعلك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي . اللهم واسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، واسألك كلمة الحق في الرضا والغضب ، واسألك القصد في الفقر والغنى ، واسألك نعيماً لا ينفد ، واسألك قرّة عين لا تنقطع ، واسألك الرضا بعد القضاء ، واسألك برد العيش بعد الموت ، واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضيلة .

اللهم زَيِّنَا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين . »

واخرجه الحاكم في «المستدرک» (٥٢٤/١) وابن حبان (٥٠٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . واخرجه النسائي ايضا (٥٥/٣) من طريق ابي هاشم الواسطي ، عن ابي مجلز عن قيس ابن عباد قال صلى عمار... فذكره ، ورواه احمد في «المسند» (٣٦٤/٤) .

ورجال هذا الاسناد ثقات رجال الصحيح .

ولا يلتفت الى انكار فريق من اهل الكلام لكلمات دعاء ثبتت عن النبي ﷺ .

الحقائق ، ومثل هذا يقع في كلام طائفة مثل سمنون<sup>(١٩)</sup> الذي قال :

وليس لي في سواك حظٌ فكيف ماشئتَ فامتحنِي

فابتلى بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب ويقول : ادعوا  
لعممكم الكذاب .

قال تعالى :

﴿ وَالْقَدْ كُنْتُمْ تَمَنُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ  
رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾<sup>(٢٠)</sup>

وبعض من تكلم في علل المقامات جعل الحبَّ والرِّضَا والخوف  
والرَّجاء من مقامات العامة بناء على مشاهدة القدر ، وان من شهد  
القدر<sup>(١)</sup> فشهد توحيد الأفعال حتى فنى من لم يكن وبقى من لم يزل ، يخرج  
عن هذه الأمور ، وهذا كلام مستدرك حقيقة وشرعا .

## ( ادعاء الصوفية المحو والفناء )

أما الحقيقة فان الحي لا يتصور ان لا يكون حساسًا محبًا لما يلائمه ،

(١٩) سمنون بن حمزة — ويقال سمنون بن عبدالله — ابولحسن الخواص .

سمى نفسه سمنونا الكذاب للواقعة المذكورة . صحب سريًا السقطي و ابا احمد القلانسي  
وسوس ، وكان يتكلم في المحبة بأحسن كلام ، وهو من كبار مشايخ الصوفية في  
العراق ، توفى بعد الجنيد .

ترجمته في «طبقات الصوفية» (١٩٥-١٩٩) ، «الحلية» (٣٠٩/١٠-٣١٤) ، «تاريخ  
بغداد» (٢٣٧-٢٣٤/٩) ، «الرسالة القشيرية» (١٣٣/١) ، «البداية والنهاية» (١١٥/١١) .

(٢٠) سورة آل عمران (١٤٣/٣)

مبغضاً لما ينافره . ومن قال ان الحى يستوى عنده جميع المقدورات فهو احد رجلين : إما انه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل ، وإما انه مكابر معاند ولو قدّر ان الانسان حصل له حالّ أزال عقله — سواء سمى اصطلاماً او محوّاً او فناءً او غشياً او ضعفاً — فهذا لم يسقط احساس نفسه بالكلية ، بل له احساس بما يلائمه وما ينافره ، وان سقط احساسه ببعض الأشياء فانه لم يسقط جميعها .

فن زعم ان المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل الى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقاً فانه غلط ، بل لا بد من من الفرق فانه امر ضروري .

لكن اذا خرج عن الفرق الشرعى بقى فى الفرق الطبيعى ، فيبقى متبعاً لهواه لامطيقاً لمولاه .

ولهذا لما وقعت « هذه المسألة » بين الجنيد وأصحابه ذكر لهم « الفرق الثانى » وهو : ان يفرق بين المأمور والمحظور ، وبين ما يحبه الله وما يكرهه مع شهوده للقدر الجامع ، فيشهد الفرق فى القدر الجامع . ومن لم يفرق بين المأمور والمحظور خرج عن دين الاسلام .

وهؤلاء الذين يتكلمون فى الجمع لا يخرجون عن الفرق الشرعى بالكلية ، وان خرجوا عنه كانوا كفاراً من شرّ الكفار ، وهم الذين يخرجون الى التسوية بين الرسل وغيرهم ، ثم يخرجون الى القول بوحدة الوجود ، فلا يفرقون بين الخالق والمخلوق ؛ ولكن ليس كلّ هؤلاء ينتهون الى هذا الاحاد ، بل يُفرّقون من وجه دون وجه ، فيطيعون الله ورسوله تارة ، ويعصون الله ورسوله تارة ، كالعصاة من اهل القبلة . وهذه الأمور مبسوطه فى غير هذا الموضع .

## ( الدعاء عبادة ومسألة )

والمقصود هنا : ان لفظ « الدعوة والدعاء » يتناول هذا وهذا ، قال الله تعالى :

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢١)</sup>

وفي الحديث :

« افضل الذكر لاله الآله ، وافضل الدعاء الحمد لله ،

رواه ابن ماجه<sup>(٢٢)</sup> وابن ابى الدنيا .

وقال النبي ﷺ في الحديث الذى رواه الترمذى وغيره :

« دعوة اخى ذى النون ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنى  
كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٢٣)</sup> مادعا بها مكروب إلا فرج الله  
كربته . »

سامها «دعوة» لأنها تتضمن نوعى الدعاء . فقلوه ﴿ لا إله إلا أنت ﴾ اعتراف بتوحيد الالهية . وتوحيد الالهية يتضمن أحد نوعى الدعاء ، فان الاله هو المستحق لأن يُدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة ، وهو الله لاله الا هو .

(٢١) سورة يونس(١٠/١٠)

(٢٢) اخرجه ابن ماجه فى الادب(١٢٤٩/٢ رقم ٣٨٠٠) وابن ابى الدنيا فى «كتاب الشكر»(١١٣ رقم ١٠٢) كما اخرجه الترمذى فى الدعوات(٢٦٢/٥ رقم ٣٣٨٣) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة»(٨٣١) والحاكم فى «المستدرک»(٤٩٨/١-٥٠٣) وابن حبان فى «صحيحه»(٢٣٢٦) — موارد) والبعغوى فى «شرح السنة»(٤٩/٥) وقال الالبانى : حسن .

والحديث فى «شعب الايمان» للبيهقى (الشعبة ٣٣) واستوفينا تخريجه هناك .

(٢٣) سورة الانبياء(٨٧/٢١)

وقد مرّ تخريج الحديث فى اول الكتاب .

## ( وجوه مختلفة للمسألة )

وقوله : ﴿ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ اعتراف بالذنب ، وهو يتضمّن طلب المغفرة ، فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب ، وتارة يسأل بصيغة الخبر ، اما بوصف حاله ، واما بوصف حال المسؤول ، واما بوصف الحالين . كقول نوح عليه السلام :

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٢٤)</sup>

فهذا ليس صيغة طلب ، وانما هو إخبار عن الله انه إن لم يغفر له ويَرْحَمَهُ خَسِرَ .

ولكن هذا الخبر يتضمّن سؤال المغفرة ، وكذلك قول آدم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٢٥)</sup>

هو من هذا الباب ، ومن ذلك قول موسى عليه السلام :

﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾<sup>(٢٦)</sup>

فان هذا وصف لحاله بانه فقير الى ما أنزل الله اليه من الخير ، وهو يتضمّن لسؤال الله انزال الخير اليه .

(٢٤) سورة هود(٤٧/١١)

(٢٥) سورة الاعراف(٢٣/٧) .

(٢٦) سورة القصص(٢٤/٢٨)

وقد روى الترمذى (٢٧) وغيره عن النبي ﷺ انه قال :  
« مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ  
أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

ورواه مالك بن الحويرث (٢٨) وقال :

« مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ  
مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ »

وأظن البيهقي رواه مرفوعا بهذا اللفظ .

وقد سئل سفيان بن عيينة (٢٩) عن قوله :

« أَفْضَلَ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ لِإِلَهِهِ وَحْدَهُ لِأَشْرِيكَ  
لَهُ ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

---

(٢٧) في كتاب فضائل القرآن من «جامعه» (١٨٤/٥) رقم (٢٩٢٦) وفيه :

«من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى....»

والحديث أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧-٥٦٨ بتحقيقنا) وراجع تخريجه هناك .

(٢٨) الصواب مالك بن الحارث . وهو تابعى روى عنه منصور . وراجع «شعب الإيمان» (رقم ٥٧٠)

(٢٩) انظر قول سفيان في «شان الدعاء» للخطابي (٢٠٧) ، و«فتح الباري» (١١/١٤٧) وراجع «شعب الإيمان» .

أما الحديث : أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة الخ فأخرجه الترمذى في الدعوات (٥٧٢/٥ رقم ٣٥٨٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وأخرجه مالك في «الموطأ» (٤٢٢) مرسلا .



فذكر هذا الحديث وأُشِدَّ قول أمية بن ابي الصلت يمدح ابن جدعان .

أَذْكَرَ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّأَنِي      حَبَاؤُكَ؟ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْجَبَاءُ  
إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا      كَفَّاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ

قال : فذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف بالخالق تعالى .

ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام :

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ، وَأَنْتَ  
الْمُسْتَعَانُ ، وَبِكَ الْمُسْتَعَاثُ ، وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ »<sup>(٣٠)</sup>

فهذا خبر يتضمّن السؤال .

## ( احسن طريق للسؤال )

ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام :

﴿ أَنَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٣١)</sup>

فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمّن سؤال رحمته بكشف ضره ،  
وهي صيغة خبر تضمّنت السؤال . وهذا من باب حسن الأدب في السؤال  
والدعاء ، فقول القائل لمن يُعْظَمُه ويرغب اليه : انا جائع ، انا مريض  
حسن ادب في السؤال . وان كان في قوله : أَطْعِمْنِي وَذَاوِي وَنَحْوِ ذَلِكَ مما  
هو بصيغة الطلب ، طلب جازم من المسؤول ؛ فذاك فيه إظهار حاله  
وإخبار على وجه الدلّ والافتقار المتضمّن لسؤال الحال ، وهذا فيه الرغبة

(٣٠) لم اجد من حرّجه .

(٣١) سورة الانبياء(٨٢/٢١) .

التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب .

وهذه الصيغة «صيغة الطلب والاستدعاء» اذا كانت لمن يحتاج اليه الطالب ، او ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك ، فانها تقال على وجه الأمر : إما لما في ذلك من حاجة الطالب ، واما لما فيه من نفع المطلوب . فاما اذا كانت من الفقير من كل وجه للفقير من كل وجه فانها سؤال محض بتذلل وافتقار واطهار الحال .

ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال ، وهو ابلغ من جهة العلم والبيان .

وذلك اظهر من جهة القصد والارادة ، فلماذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني ، لأن الطالب السائل يتصور مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطابقة والقصد الأول ، وتصريح به باللفظ ، وان لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسئول ، فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من النوعين ، فانه يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والاجابة ، ويتضمن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال ، فيتضمن السؤال والمقتضى له والاجابة كقول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما قال : له علمني دعاء ادعوا به في صلاتي ، فقال :

« قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »

اخرجاه في الصحيحين<sup>(٣٢)</sup> .

(٣٢) فاخرجه البخارى في الاذان(٢٠٢/١) وفي الدعوات(١٥٠/٧) وفي التوحيد(١٦٨/٨) ومسلم في الذكر(٢٠٧٨رقم٢٧٠٥) .

واخرجه ايضا احمد في «المسند»(٧/١) والترمذي في الدعوات(٥٤٣رقم٣٥٣١) والنسائي في السهو(٥٢/٣) وابن ماجه في الدعاء(١٢٦١رقم٣٨٣٥) وابويعلی في «مسنده»(٧/١)نهنا٣رقم٣٨٠٣١رقم٣٢) .

فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته الى المغفرة ، وفيه وصف ربه الذي يُوجِبُ انه لا يقدرُ على هذا المطلوب غيره ، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه ، وفيه بيان المقتضى للاجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فذا ونحوه اكمل انواع الطلب .

## ( خصائص ادعية القرآن )

وكثير من الأدعية يتضمن بعض ذلك . كقول موسى عليه السلام :

﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَآغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْعَافِرِينَ ﴾<sup>(٣٣)</sup>

فهذا طلبٌ ووصفٌ للمولى بما يقتضى الاجابة . وقوله :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَآغْفِرْ لِي ﴾<sup>(٣٤)</sup>

فيه وصف حال النفس والطلب . وقوله :

﴿ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَيَّرَ ﴾<sup>(٣٥)</sup>

فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال ، فهذه انواع لكل نوع منها خاصة .

(٣٣) سورة الاعراف(٧/١٥٥)

(٣٤) سورة القصص(٢٨/١٦)

(٣٥) سورة القصص(٢٨/٣٤)

## ( لماذا كان دعاء ذى النون بصيغة الخبر ؟ )

يبقى ان يقال فصاحب الحوت ومن اشبهه لماذا ناسبَ حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب ؟ .

فيقال : لأن المقام اعتراف بان ما اصابني من الشركان بذنبي . فأصل الشُّرُّ هو الذنبُ ، والمقصود دفعُ الضَّرِّ ، والاستغفار جاء بالقصد الثاني ، فلم يذكر صيغةَ طلب كشف الضَّرِّ لاستشعاره انه مسيء ظالمٌ ، وهو الذى ادخل الضَّرَّ على نفسه ، فناسب حاله ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه ، ولم يذكر صيغةَ طلب المغفرة لأنه مقصودٌ للبعد المكروب بالقصد الثاني ؛ بخلاف كشف الكُرب فانه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول ، اذا النفس بطبعها تطلبُ ما هي محتاجةٌ اليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوالَ ما تحاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني ، والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر ، فهذا مقدم في قصده واراادته ، وأبلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده .

## ( تفسير « سبحانك » )

وهذا يتبينُ بالكلام على قوله : ﴿ سبحانك ﴾ فان هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه ، والمقام يقتضى تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب ، يقول : انت مَقْدَسٌ وَمُنَزَّرَةٌ عن ظُلْمى وعقوبى بغير ذنب ، بل انا الظالم الذى ظلمت نفسى . قال تعالى :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾<sup>(٣٦)</sup>

(٣٦) سورة النحل(١٦/١١٨)

وقال تعالى :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (٣٧)

وقال :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٨)

وقال آدم عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ (٣٩)

وكذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذى فى مسلم فى دعاء

الاستفتاح :

« اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا  
عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاعْفِرْ لِي  
ذُنُوبِي جَمِيعًا فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » (٤٠).

(٣٧) سورة هود(١٠١/١١)

(٣٨) سورة الرحرف(٧٦/٤٣)

(٣٩) سورة الاعراف(٢٣/٧)

(٤٠) احرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرین(٥٣٤/١-٥٣٥ رقم ٧٧١) عن على بن ابى طالب عن رسول الله ﷺ انه كان اذا قام الى الصلاة قال

«وَحُثَّتْ وَجْهِي لِلدِّيِّ فَمَطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَا أَسَا مِنَ الْمُتْرَكِينَ أِنْ صَلَاتِي  
وَسَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِاتْرِيكَ لَهُ وَبَدَلِكَ أَمْرًا وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،  
اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي  
فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَحْلَاقِ لِأَهْدِي  
لِأَحْسَنِ الْأَنْتِ وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لِأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَتُنِيكَ وَسَعْدِيكَ ،  
وَالْحَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالتَّرْلِيْسُ إِلَيْكَ أَنَا لَيْكَ وَالْيَيْكَ ، تَسَارَكْتِ وَتَعَالَيْتِ ، اسْتَعْمَرَكِ  
وَآتَوْبُ إِلَيْكَ ، الْحَدِيثُ

ورواه اسوداود(٤٨١/١ رقم ٧٦٠) والترمذى(٤٨٥/٥ رقم ٣٤٢١) والسائى(١٣٠/٢) والدارمى(٢٨٢) واحمد(١٠٢،٩٤/١) وابو يعلى فى (مسنده،(٢٤٥/١ رقم ٢٨٥،٤٣٣ رقم ٥٧٤)

وفي صحيح البخارى :

« سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ :

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ،  
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ  
شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي  
فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ،  
وَمَنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ<sup>(٤١)</sup> .

فالعبد عليه ان يعترف بعدل الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئا  
فلا يعاقب احد الا بذنبه ، وهو يحسن اليهم فكل تقمة منه عدل وكل  
نعمة منه فضل .

## ( معنى «لااله الا أنت» )

فقوله : ﴿ لااله الا أنت ﴾ فيه اثبات انفراده بالالهية ، والالهية  
تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، ففيها اثبت احسانه الى العبد  
فان «الاله» هو المألوه ، والمألوه هو الذى يستحق ان يعبد ، وكونه  
يستحق ان يعبد هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم ان يكون هو  
المحجوب غاية الحب ، المخضوع له غاية الخضوع ؛ والعبادة تتضمن غاية  
الحب بغاية الذل .

(٤١) فى الدعوات(١٤٥/٧، ١٥٠)

وراجع «الصحيحة»(١٧٤٧) والحديث فى «شعب الايمان» للبيهقى(رقم٦٥٨) فراجع تخريجه  
هناك .

وقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ يتضمّن تعظيمه وتزيهه عن الظلم وغيره من النقائص ، فان التسييح وان كان يقال : يتضمّن نفى النقائص ، وقد روى في حديث مرسل<sup>(٤٢)</sup> من مراسيل موسى بن طلحة عن النبي ﷺ في قول العبد : سبحان الله .

« انها براءة الله من السوء » .

فالنفى لا يكون مدحا الا اذا تضمن ثبوتا والا فالنفى المحض لامدح فيه ، ونفى السوء والنقص عنه يستلزم اثبات محاسنه وكاله ، والله الأسماء الحسنی .

وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفى السوء والنقص عنه يتضمن اثبات محاسنه وكاله . كقوله تعالى :

﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ  
وَلَا نَوْمٌ ﴾<sup>(٤٣)</sup>

فنفي اخذ السنّة والنوم له يتضمن كمال حياته وقِيُومِيَّتِهِ وقوله :

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾<sup>(٤٤)</sup>

يتضمن كمال قدرته ، ونحو ذلك . فالتسييح المتضمن تزيهه عن السوء ، ونفى النقص عنه يتضمن تعظيمه . ففي قوله : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ تبرئته من الظلم ، واثبات العظمة الموجبة له براءته من الظلم ، فان الظالم انما يظلم لحاجته الى الظلم او لجهله ، والله غني عن كل شيء ، علم بكل شيء ، وهو غني بنفسه ، كل ماسواه فقير اليه ، وهذا كمال العظمة .

(٤٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/١٥)

(٤٣) سورة البقرة (٢/٢٥٥)

(٤٤) سورة ق (١٠٠/٢٨)

## ( افضل الكلام عند الله )

وايضا ففى هذا الدعاء التهليل والتسبيح فقولہ : ﴿ لا اله الا انت ﴾ تهليل . وقولہ : ﴿ سبحانك ﴾ تسبيح . وقد ثبت فى الصحيح<sup>(٤٥)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« افضل الكلام بعد القرآن اربع : وهن من القرآن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر » .

والتحميد مقرون بالتسبيح وتابع له ، والتكبير مقرون بالتهليل وتابع له .

وفى الصحيح<sup>(٤٦)</sup> عن النبي ﷺ انه سئل اى الكلام افضل ؟ قال :

« ما اصطفتى الله لملائكته سبحان الله وبحمده » .

وفى الصحيحين<sup>(٤٧)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

---

(٤٥) اخرجه مسلم فى الآداب من «صحيحه» (١٦٨٥/٢) من حديث سمرة بن جندب ، ولفظه :

«احب الكلام الى الله اربع....» ورواه البيهقى فى «شعب الايمان» (رقم ٥٨٥-بتحقيقنا) وراجع تخريجه هناك .

(٤٦) راجع مسلم (٢٠٩٣/٣) رقم ٢٧٣١ وراجع «شعب الايمان» (رقم ٥٨٦)

(٤٧) اخرجه البخارى فى الدعوات (١٦٨٧) وفى الايمان والنذور (٢٢٩٧) وفى التوحيد (٢١٩/٨) ومسلم فى الذكر (٢٠٧٢/٣) رقم ٢٦٩٤ ورواه البيهقى فى «شعب الايمان» (رقم ٥٨٥) وراجع تخريجه فيه .



وفي القرآن :

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾<sup>(٤٨)</sup>

وقالت الملائكة :

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾<sup>(٤٩)</sup>

وهاتان الكلمتان احدهما مقرونة بالتحميد ، والأخرى بالتعظيم ، فانا قد ذكرنا أن التسبيح فيه نفى السوء والنقائص المتضمن اثبات المحاسن والكمال ، والحمد انما يكون على المحاسن ، وقرن بين الحمد والتعظيم كما قرن بين الجلال والاكرام ، إذ ليس كل مُعَظَّم محبوباً محموداً ، ولا كل محبوب محموداً معظماً ، وقد تقدم ان العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد ، وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم ، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن ، وفيها الذل له الناشيء عن عظمته وكبريائه . ففيها اجلاله واکرامه . وهو سبحانه المستحق للجلال والاکرام ، فهو مستحق غاية الاجلال وغاية الاكرام .

ومن الناس من يحسب ان «الجلال» هو الصفات السلبية و«الاکرام» الصفات الثبوتية ، كما ذكر ذلك الرازي ونحوه والتحقيق ان كليهما صفات ثبوتية ، واثبات الكمال يستلزم نفى النقائص ، لكن ذكر نوعى الثبوت وهو ما يستحق ان يُحَبَّ وما يستحق ان يُعَظَّم : كقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾<sup>(٥٠)</sup>

وقول سليمان عليه السلام :

(٤٨) سورة النصر(٣/١١٠)

(٤٩) سورة البقرة(٢/٣٠)

(٥٠) سورة لقمان(٢٦/٣١)

﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾<sup>(٥١)</sup>

وكذلك قوله :

﴿ لَه الْمَلِكُ وَلَه الْحَمْدُ ﴾<sup>(٥٢)</sup>

فان كثيرًا من يكون له الملك والغنى لا يكون محمودًا بل مذمومًا ، إذ الحمدُ يتضمن الاخبار عن المحمود بحاسنة المحبوبة ، فيتضمن اخبارًا بحاسن المحبوب محبة له .

وكثير من له نصيب من الحمد والمحبة يكون فيه عجزٌ وضعفٌ وذُلٌّ ينفي العظمة والغنى والملك . فالاول يُهاب ويُخاف ولا يُحَب . وهذا يُحَبُّ ويُحمد ، ولا يُهاب ولا يُخاف . والكمال اجتماع الوصفين . كما ورد في الأثر :

« ان المؤمن رزق حلاوة ومهابة »<sup>(٥٣)</sup>

وفي نعت النبي ﷺ :

« كان من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة احبه »<sup>(٥٤)</sup>

فقرن التسبيح بالتحميد ، وقرن التهليل بالتكبير ، كما في كلمات الاذان . ثم ان كل واحد من النوعين يتضمن الآخر اذا أفرد : فسان

(٥١) سورة النمل(٢٧/٤٠)

(٥٢) سورة التغابن(١٦/٦٤)

(٥٣) لم أجد من خرّجه .

(٥٤) جاء في حديث علي رضي الله عنه في نعت النبي ﷺ . أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»(١/٢٧٠) وأخرجه الترمذی(٥٩٩/٥ رقم ٣٦٣٨) وقال : هذا حديث حسن غريب ليس اسناده بمتصل .

التسبيح والتحميد يتضمن التعظيم ؛ ويتضمن اثبات ما يحمده عليه ، وذلك يستلزم الالهية . فان الالهية تتضمن كونه محبوبا ؛ بل تتضمن انه لا يستحق كمال الحب الا هو . والحمد هو الاخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق ان يحب فالالهية تتضمن كمال الحمد ، ولهذا كان «الحمد لله» مفتاح الخطاب . وكل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم<sup>(٥٥)</sup>

و «سبحان الله» فيها اثبات عظمته كما قدمناه ، ولهذا قال :

﴿ قَسَّبَحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(٥٦)</sup>

وقد قال النبي ﷺ :

« اجعلوها في ركوعكم »

رواه اهل السنن<sup>(٥٧)</sup> .

وقال :

« اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود

فاجتهدوا فيه بالدعاء فقمنا ان يستجاب لكم »

رواه مسلم<sup>(٥٨)</sup> .

(٥٥) حديث «كل امر ذى بال لا يبدأ بالحمد لله فهو اجذم»

رواه ابوداود في «سننه» (١٧٢/٥ رقم ٤٨٤٠) وابن ماجه وابن حبان .

وهو عند البيهقي في «شعب الايمان» (الشعبة ٣٣) فراجعه .

(٥٦) سورة الواقعة (٥٦/٧٤، ٩٦)

(٥٧) رواه ابوداود في «سننه» (٥٤٢/١ رقم ٨٦٩) وابن ماجه (٢٨٧/١ رقم ٨٨٧) واحمد في

«المسند» (١٥٥/٤) والحاكم (٤٧٧/٢) والبيهقي في «سننه» (٨٦/٢) .

(٥٨) في الصلاة (٣٤٨/١ رقم ٤٧٩) من حديث ابن عباس

فجعل التعظيم في الركوع اخص منه بالسجود ؛ والتسييح يتضمن التعظيم .

ففى قوله «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» اثباتُ تنزيهه وتعظيمه والهيته وحده . واما قوله : « لا اله الا الله والله اكبر » ففى لاله الا الله اثبات محامده فانها كلها داخلة فى اثبات الهيته وفى قوله : « الله اكبر » اثبات عظمته فان الكبرياء تتضمن العظمة ولكن الكبرياء اكل .

ولهذا جاءت الالفاظ المشروعة فى الصلاة والأذان بقول : «الله اكبر» فان ذلك اكل من قول الله اعظم ، كاثبت فى الصحيح<sup>(٥٩)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ،  
فمن نازعنى واحداً منها عذبتة »

فجعل العظمة كالازار ، والكبرياء كالرداء ، ومعلوم ان الرداء اشرف ، فلما كان التكبير ابلغ من التعظيم صرح بلفظه ، وتضمن ذلك التعظيم ، وفى قوله : سبحان الله ، صرح فيها بالتنزيه من السوء المتضمن للتعظيم ، فصار كل من الكلمتين متضمنا معنى الكلمتين الأخريين إذا أُفردتا ، وعند الاقتران تُعطى كل كلمة خاصيتها .

= واخرجه أيضاً ابوداود(٥٤٥/١ رقم ٨٧٦) والنسائي(١٨٩/٢-١٩٠-٢١٧:٢١٨) واحداً فى «المسند»(٢١٩/١) والدارمى(٣٠٤) والحيمدى فى «مسنده»(٢٢٨/١ رقم ٤٨٩) وعبدالرزاق فى «مصنفه»(١٤٥/٢ رقم ٢٨٣٩) وابن ابى شيبه فى «مصنفه»(٢٤٩/١) والبيهقى فى «سننه»(٨٨-٨٧/٢)

واخرجه ابن خزيمة فى «صحيحه»(٢٧٦/١ رقم ٥٤٨) وابويلى فى «مسنده»(٢٧٥/٤ رقم ٢٣٨٧) .

(٥٩) رواه مسلم فى «صحيحه» فى البر(٢٠٢٣/٣ رقم ٢٦٢)

اخرجه ابوداود فى اللباس(٣٥٠/٤ رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه فى «الزهده»(١٣٩٧/٢ رقم ٤١٧٤) واحداً فى «المسند»(٤٤٢،٤٢٧،٤١٤،٣٧٦/٢) .

وهذا كما ان كل اسم من اسماء الله فانه يستلزم معنى الاخر ؛ فانه يدل على الذات ، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر ، لكن هذا بالضرورة . وامادلالة كل اسم على خاصيته وعلى الذات بمجموعها بالمطابقة ، ودلالتهما على احدهما بالتضمن .

فقول الداعي : ﴿ لا اله الا انت سبحانك ﴾ يتضمن معنى الكلمات الاربع اللاتي هن افضل الكلام بعد القران . وهذه الكلمات تتضمن معاني اسماء الله الحسنى وصفاته العليا ففيها كال المدح .

وقوله : ﴿ انى كنت من الظالمين ﴾ فيه اعتراف بحقيقة حاله ، وليس لأحد من العباد ان يبرئ نفسه عن هذا الوصف ، لاسيا في مقام مناجاته لربه . وقد ثبت في الصحاح<sup>(٦٠)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى »

وقال :

« من قال : انا خير من يونس ابن متى فقد كذب »<sup>(٦١)</sup>

فن ظن انه خير من يونس بحيث يعلم انه ليس عليه ان يعترف بظلم نفسه فهو كاذب ، ولهذا كان سادات الخلائق لا يفضلون انفسهم على يونس في هذا المقام ، بل يقولون : كما قال ابوم آدم وخاتمهم محمد ﷺ .

☆☆☆☆☆

---

(٦٠) أخرجه البخارى فى الأنبياء(١٣٢/٤-١٣٣) ومسلم فى الفضائل(١٨٤٦/٣) عن ابن عباس وأبى هريرة وأخرجه أيضاً ابوداود فى «السنة»(٥١٧/٥ رقم ٤٦٦٩) عن ابن عباس وأخرجه البخارى(١٣٢/٤) والنسائى فى «الكبرى»(تحفة الاشراف ٤٥/٧) من حديث ابن مسعود .

(٦١) أخرجه احمد(٤٥١/٣) والحاكم فى «المستدرک»(٤٨٥/٣) من حديث أبى هريرة ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

## فصل ( لم كانت كاشفة للكرب ؟ )

واما قول السائل : لم كانت موجبة لكشف الضر ؟ فذلك لأن الضر لا يكشفه الا الله . كما قال تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup>

والذنوب سبب للضر ، والاستغفار يزيل اسبابه كما قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

فاخبر انه سبحانه لا يعذب مستغفرا . وفي الحديث :

« مَنْ أَكْثَرَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ قَرَجًا ، مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »<sup>(٣)</sup>

(١) سورة يونس (١٠٧/١٠)

(٢) سورة الانفال (٣٣/٨)

(٣) حديث ضعيف اخرجه احمد والحاكم ، وانظر تحريجه في «شعب الايمان» للبيهقي (رقم ٦٣٦)

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾<sup>(٤)</sup>

فقوله : ﴿إني كنت من الظالمين﴾ اعتراف بالذنب وهو استغفار ،  
فان هذا الاعتراف متضمن طلب المغفرة .

وقوله : ﴿لااله الا انت﴾ تحقيق لتوحيد الالهية . فان الخير  
لاموجب له الا مشيئة الله ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، والمعوق له  
من العبد هو ذنوبه ، وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله ،  
وان كانت افعال العباد بقدر الله تعالى ، لكن الله جعل فعل المأمور وترك  
المحظور سببا للنجاة ، والسعادة ، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير ،  
والاستغفار من الذنوب يُغلق باب الشر .

## ( الرجاء من الله وحده )

ولهذا ينبغي للعبد ان لا يتعلق رجاءه الا بالله ، ولا يخاف من الله ان  
يظلمه : فان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ، بل  
يخاف ان يجزيه بذنوبه ، وهذا معنى ما روى عن علي رضي الله عنه انه  
قال : لا يَرْجُونَ عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه .

وفي الحديث المرفوع الى النبي ﷺ انه دَخَلَ على مريض فقال :

« كيف تجدك ؟ » فقال : ارجو الله واخاف ذنوبي ، فقال :

« ما اجتماعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا

(٤) سورة الشورى (٤٢/٣٠)

## أعطاء الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»<sup>(٥)</sup>

فالرجاء ينبغى ان يتعلق بالله ، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله ، فان تعليق الرجاء بغير الله اشراك ، وان كان الله قد جعل لها اسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه ، بل لابد له من معاون ، ولا بد ان يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى الا بمشيئة الله تعالى .

ولهذا قيل : الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ، ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل ، والإعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع . ولهذا قال الله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَعْتَ قَائِصَبَ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾<sup>(٦)</sup>

فامر بأن تكون الرغبة اليه وحده ، وقال :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>

فالقلب لا يتوكل الا على من يرجوه ، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر الى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب ، وما رجا احد مخلوقا أو توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك :

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ  
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾<sup>(٨)</sup>

(٥) اخرجه الترمذى وابن ماجه وابويلى والبيهقى في «شعب اليمان» (الشعبة ١٢) وراجع تخريجه فيه .

(٦) سورة الم نشرح(٨٠٧/٩٤)

(٧) سورة المائدة(٢٢/٥)

(٨) سورة الحج(٣١/٢٢)



وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ، ويرجوهم ، فيحصل له رعباً كما قال تعالى :

﴿ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا  
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾<sup>(٩)</sup>

والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ  
لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(١٠)</sup>

وقد فسّر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك . ففي الصحيح<sup>(١١)</sup> عن ابن مسعود ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي ﷺ وقالوا : أئنا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ :

« انما هذا الشرك ، لم تسمعوا الى قول العبد الصالح :  
« إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(١٢)</sup> ؟ »

وقال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ  
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ  
ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ

(٩) سورة آل عمران (١٥١/٣)

(١٠) سورة الانعام (٨٢/٦)

(١١) اخرجہ البخارى فى الانبياء (١١٢/٤، ١٣٧) ومسلم فى الايمان (١١٤/١، ١٢٤) واحمد فى «مسنده» (٤٤٤، ٤٢٤، ٣٧٨/١) .

(١٢) سورة لقمان (١٣/٣١)

اتَّبِعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ○ وَقَالَ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَّرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا  
مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ  
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٣﴾

وقال تعالى :

﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ  
كُشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ○ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ  
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ  
مَحْدُورًا ﴿١٤﴾

ولهذا يذكر الله الأسباب . ويأمر بأن لا يُعتمد عليها ، ولا يُرجى  
الاله ، قال تعالى لما أنزل الملائكة :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ  
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٥﴾

وقال :

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ  
ذَٰلِكُمْ يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾

(١٣) سورة البقرة (١٦٥/٢-١٦٧)

(١٤) سورة الاسراء (١٧/٥٦-٥٧)

(١٥) سورة آل عمران (٣/١٢٦)

(١٦) ايضاً (٣/١٦٠)

## ( الدعاء لا يصلح الا لله )

وقد قدمنا ان الدعاء نوعان :

دعاء عبادة . ودعاء مسألة .

وكلاهما لا يصلح الا لله ، فمن جعل مع الله الها آخر قعد مذموماً  
مخذولاً . والراجى سائل طالب فلا يصلح أن يرجو الا الله ، ولا يسأل  
غيره ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح :

« ما أتاك من هذا المال وانتَ غيرَ سائلٍ ولا مُشرفٍ  
فخذهُ ، وما لا فلا تتبعهُ نفسك »<sup>(١٧)</sup>

فالمشرفُ الذى يستشرفُ بقلبه ، والسائل الذى يسأل بلسانه ، وفى  
الحديث الذى فى الصحيحين<sup>(١٨)</sup> عن أبى سعيد الخدرى قال : أصابتنا فاقة  
فجئت رسول الله ﷺ لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول :

« ايها الناس والله ! مهما يكن عندنا من خير  
فلن نَدخره عنكم ، وانه من يستغن يُغنيه الله ، ومن  
يستعفف يُعفِّه الله ، ومن يتصبر يُصبره الله ،  
وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر »

(١٧) اخرجه البخارى فى الزكاة (١٣٠/٢) وفى الاحكام (١١١/٨) ومسلم فى الزكاة (٧٢٣/١) رقم (١٠٤٥) والبيهقى فى «شعب الايمان» (الشعبة ٢٢) وراجع بقية تخريجه هناك .

(١٨) اخرجه البخارى فى الزكاة (١٢٩/٢) وفى الرقاق (١٨٣/٧) ومسلم فى الزكاة (٧٢٩/١) رقم (١٠٥٣)

واخرجه ايضا ابوداود فى الزكاة (٢٩٥/٢) رقم (١٦٤٤) والترمذى فى البر (٣٧٣/٤) رقم (٢٠٢٤) والنسائى فى الزكاة (٩٦-٩٥/٥) والدارمى فى الزكاة (٣٨٧) واحمد فى «المسند» (٩٣، ٤٧، ١٢، ٣/٣) وعند مالك فى «الموطأ» (٩٩٧) واخرجه ابويعلى فى «مسنده» (٣٦٧/٢) رقم (١١٢٩)، ٤٥٥ رقم (١٢٦٧)، ٥٠٥ رقم (١٣٥٢)

و «الاستغناء» أن لا يرجو بقلبه أحداً فيستشرف إليه و  
«الاستعفاف» أن لا يسأل بلسانه أحداً . ولهذا لما سئل احمد بن حنبل  
عن التوكل فقال : قطع الاستشراف الى الخلق — اى لا يكون في قلبك ان  
احداً يأتيك بشيء — فقيل له : فما الحجة في ذلك ؟ فقال : قول الخليل  
لما قال له جبرئيل هل لك من حاجة ؟ فقال :

« أَمَا إِلَيْكَ فَلَا »<sup>(١٩)</sup>

فهذا وما يشبهه مما يُبين ان العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضُرّه  
لا يُوجّه قلبه الا الى الله ، فلهذا قال المكروب : ﴿ لا اله الا انت ﴾ .  
ومثل هذا ما في الصحيحين<sup>(٢٠)</sup> عن ابن عباس ان النبي ﷺ كان يقول :  
عند الكرب :

« لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش  
العظيم ، لا اله ربّ السموات ورب الأرض ربّ العرش  
الكريم » .

فان هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد ، وتألّه العبد ربه ، وتعلق رجائه  
به وحده لا شريك له ، وهى لفظ خبر يتضمن الطلب .

(١٩) هذا جزء من قصة ذكرها البغوى في «تفسيره» (٣٠١/٤) جاء فيها ان ابراهيم عليه السلام  
لما رموا به في النار جاءه جبريل فقال : يا ابراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما اليك فلا ،  
قال جبريل : فسل ربك ، قال : حسبي من سواى علمه بحالى .

وذكر هذه الجملة الاخيرة ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢٥٠/١) وقال : قال  
ابن تيمية : موضوع . واورده الالبانى في «الضعيفة» (٢١) وقال : لا اصل له .

(٢٠) اخرجه البخارى في الدعوات (١٥٤/٧) وفي التوحيد (١٧٨، ١٧٧/٨) ومسلم في  
الذكر (٣/٢٠٩٣ رقم ٢٧٢٠) واحمد في «المسند» (١/٢٢٨، ٢٥٤، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٣٩، ٣٥٦)

واخرجه البيهقى في «شعب الايمان» عن عبدالله بن جعفر عن علي بنحوه (رقم ٦١٤)

والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم : لاله الاالله ، فقول العبد لها مخلصا من قلبه له حقيقة اخرى ، وبحسب تحقيق التوحيد تكل طاعة الله . قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ  
وَكَيْلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ  
هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾<sup>(٢١)</sup>

فن جعل ما ياله هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هواه ، اى جعل معبوده هو ما يهواه ، وهذا حال المشركين الذين يعبد احدهم ما يستحسنه فهم يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ، ولهذا قال الخليل :

﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾<sup>(٢٢)</sup>

فان قومه لم يكونوا منكرين للصانع ، ولكن كان احدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا له كالشمس والقمر والكواكب ، والخليل بين ان الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ، ولا يسمع كلامه ، ولا يعلم حاله ، ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره ، فأى وجه لعبادة من يأفل ؟ ! .

## ( الاخلاص فى الدين )

وكلما حقق العبد الاخلاص فى قول : لاله الاالله خرج من قلبه تاله ما يهواه ، وتصرف عنه المعاصى والذنوب ، كما قال تعالى :

(٢١) سورة الفرقان(٢٥/٤٣،٤٤)

(٢٢) سورة الانعام(٦/٧٦)

﴿ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ  
عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾<sup>(٢٣)</sup>

فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين ، وهؤلاء  
هو الذين قال فيهم :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾<sup>(٢٤)</sup>

وقال الشيطان :

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
الْمُخْلَصِينَ ﴾<sup>(٢٥)</sup>

وقد ثبت في الصحيح<sup>(٢٦)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على  
النار » .

فان الاخلاص ينفي اسباب دخول النار ، فمن دخل النار من  
القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار ، بل كان في  
قلبه نوع من الشرك الذى اوقعه فيما ادخله النار ، والشرك في هذه الأمة  
اخفى من ديبب النمل ، ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة ان يقول :

﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

---

(٢٣) سورة يوسف(٢٤/١٢)

(٢٤) سورة الحجر(٤٢/١٥)

(٢٥) سورة ص(٨٢-٨٣)

(٢٦) اخرجه البخارى(٤١/١) ومسلم(٦١/١) وراجع تحريجه في «شعب الايمان» في التعليق على  
الحديث(٧)

والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك ، فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله ، اما خوفاً منه ، واما رجاء له ؛ فلا يزال العبد مفتقراً الى تخليص توحيده من شوائب الشرك ، وفي الحديث الذى رواه ابن ابي عاصم<sup>(٢٧)</sup> وغيره عن النبي ﷺ انه قال :

« يقول الشيطان : اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلاله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثتُ فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون ، لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » .

فصاحب الهوى الذى اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ الهه هواه ، فصار فيه شركٌ مَنَعَهُ من الاستغفار ، واما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد ان يرفع عنه الشرّ ، فلماذا قال ذوالنون :

﴿ لِأَلَةٍ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

## ( الصلة بين التوحيد والاستغفار )

ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع . كقبوله تعالى :

﴿ فَاَعْلَمَ أَنَّهُ لِأَلَةٍ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(٢٨)</sup>

(٢٧) في «كتاب السنة» له (٧/٩١ رقم) وقال الالبانى : اسناده موضوع وآفته عبدالغفور .

واخرجه ابويعلى في «مسنده» (١٣٦ رقم/١٢٣/١) وقال الهيثمى : فيه عثمان بن مطر وهو ضعيف (مجمع الزوائد ١٠/٢٠٧)

(٢٨) سورة محمد (١٩/٤٧)

وقال :

﴿ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ  
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾<sup>(٢٩)</sup>

وقوله :

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ  
مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴾ الى قوله ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ  
تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾<sup>(٣٠)</sup>

وقوله :

﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾<sup>(٣١)</sup>

وخاتمة المجلس :

« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ »<sup>(٣٢)</sup>

ان كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه ، وان كان مجلس لغو كانت  
كفارة له .

(٢٩) سورة هود(١١/٢-١١)

(٣٠) ايضا(١١/٥٠-٥٢)

(٣١) سورة حم السجدة(٤١/٦)

(٣٢) اخرجه النسائي في «اليوم واللييلة»(٤٢٩-٤٣٠) عن ابي العالية عن النبي ﷺ مرسلا .

وروى مرفوعا من حديث رافع اخرجه النسائي(٤٢٧) والحاكم في «المستدرک»(٥٣٧/٢)  
ومن حديث ابي برزة الاسلمى اخرجه النسائي(٤٢٦) وابوداود(١٨٢/٥ رقم ٤٨٥٩)  
والدارمي والحاكم في «المستدرک»(٥٣٧/١) ومن حديث نافع بن جبير عن ابيه اخرجه  
النسائي(رقم ٤٢٤) والحاكم(٥٣٧/١) والطبراني في «المعجم الكبير»(رقم ١٥٨٦) .



وقد روى أيضا انها تقال في آخر الوضوء بعد ان يقال :

« اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان  
محمدًا عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التَّوَّابِينَ  
واجعلني مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ »<sup>(٣٣)</sup>

وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار ، فان صدره الشهادتان  
اللتان هما اصلا الدين وجماعه : فان جميع الدين داخل في «الشهادتين» إذ  
مضمونها ان لانعبد الا الله ، وان نطيع رسوله ، و«الدين» كله داخل في  
هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، كل ما يجب او يستحب داخل  
في طاعة الله ورسوله .

وقد روى انه كان يقول :

« سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت ،  
استغفرك واتوب اليك » .

وهذا كفارة المجلس ، فقد شرع في آخر المجلس وفي آخر الوضوء .  
وكذلك كان النبي ﷺ يختم الصلاة كما في الحديث الصحيح<sup>(٣٤)</sup> انه كان  
يقول في آخر صلاته :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَمْرَزْتُ »

---

(٣٣) اخرج هذا الدعاء بكامله الترمذى في «جامعه» (٧٨-٧٧/١) رقمه (٥٥) واخرجه دون الجملة  
الاخيرة مسلم (٢٠٩/١) رقمه (٢٣٤) وابوداود (١١٨-١١٩/١) رقمه (١٦٩) والنسائي (٩٢/١) واحد (١٩/١)،  
١٥٣/٤) وابويلى في «مسنده» (١٦٢/١) رقمه (١٨٠)، ٢١٣ رقمه (٢٤٩) .

واخرج النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨١) عن ابى سعيد عن النبي ﷺ قال :

«من توطأ فقال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك  
كُتِبَ في رِقْ ثم طبع بطابع فلم يكسر الى يوم القيامة » .

(٣٤) راجع مسلم في صلاة المسافرين (٥٣٤-٥٣٦) رقمه (٧٧١) وهو نفس الحديث الذى مرّ تخريجه  
في التعليق رقم (٤٠) .

وَمَا عَلَّمْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ  
الْمُؤَخَّرُ ، لِأَنَّ الْإِلَهَ لَا أَنْتَ »

وهنا قدّم الدعاء وختمه بالتوحيد ، لأن الدعاء مأمور به في آخر الصلاة ، وختم بالتوحيد ليختم الصلاة بأفضل الأمرين وهو التوحيد ، بخلاف ما لم يقصد فيه هذا فان تقديم التوحيد افضل .

فان جنس الدعاء الذى هو ثناء وعبادة افضل من جنس الدعاء الذى هو سؤال وطلب ، وان كان المفضول قد يفضل على الفاضل في موضعه الخاص بسبب وبأشياء أخرى ، كما ان الصلاة افضل من القراءة ، والقراءة افضل من الذكر الذى هو ثناء ، والذكر افضل من الدعاء الذى هو سؤال . ومع هذا فالمفضول له امكنة وازمنة واحوال يكون فيها افضل من الفاضل ، لكن اول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد ، واخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لاله الا الله .

## ( توحيد الالهية وتوحيد الربوبية )

فان المسلمين وان اشتركوا في الاقرار بها ، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلا لا تقدر ان تضبطه ، حتى ان كثيرا منهم يظنون ان التوحيد المفروض هو الاقرار والتصديق بان الله خالق كل شيء وربّه . ولا يميزون بين الاقرار بتوحيد الربوبية الذى اقرّ به مشركو العرب . وبين توحيد الالهية الذى دعاهم اليه رسول الله ﷺ ، ولا يجمعون بين التوحيد القولى والعملى .

فان المشركين ما كانوا يقولون : إن العالم خلقه اثنان ، ولا ان مع الله ربًا ينفرد دونه بخلق شئى ؛ بل كانوا كما قال الله عنهم :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ :

وقال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (٣٦)

وقال تعالى :

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ : أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ قُلْ : مَنْ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟ سَيَقُولُونَ :  
لِلَّهِ . قُلْ : أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ قُلْ : مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ  
شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟  
سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قُلْ : فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ؟ ﴾ (٣٧)

وكانواع إقرارهم بان الله هو الخالق وحده يعملون معه آلهة أخرى ،  
يعملونهم شفعاء لهم إليه . ويقولون : مانعبدم إلا ليقربونا إلى الله  
زلفى . ويحبونهم كحب الله .

والاشراك فى الحب والعبادة والدعاء والسؤال غيرالاشراك فى الاعتقاد  
والاقرار ، كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ  
كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٣٨)

فن أحب مخلوقًا كما يحب الخالق فهو مشرك به ، قد اتخذ من دون الله  
أندادًا يحبهم كحب الله ، وإن كان مقرًا بان الله خالقه .

(٣٥) سورة لقمان (٢٥/٣١)

(٣٦) سورة يوسف (١٠٦/١٢)

(٣٧) سورة المؤمنون (٨٩-٨٤/٢٣)

(٣٨) سورة البقرة (١٦٥/٢)

## ( الفرق بين الحب لله والحب مع الله )

ولهذا فرق الله ورسوله بين من أحب مخلوقًا لله ، وبين من أحب مخلوقًا مع الله ، فالأول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذى هو منتهى حبه وعبادته لا يجب معه غيره ؛ لكنه لما علم أن الله يحب أنبياءه وعباده الصالحين أحبهم لأجله ، وكذلك لما علم أن الله يحب فعل المأمور وترك المحظور أحب ذلك ، فكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وفرعا عليه وداخلا فيه .

بخلاف من أحب مع الله فجعله ندا لله يرجوه ويخافه ، أو يطيعه من غير أن يعلم أن طاعته طاعة لله ، ويتخذة شفيقا له من غير أن يعلم أن الله يأذن له ان يشفع فيه قال تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ  
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾<sup>(٣٩)</sup>

وقال تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ  
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا  
لَّإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٤٠)</sup>

وقد قال عدى بن حاتم للنبي ﷺ ما عبدوهم ، قال :

« احلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال

(٣٩) سورة يونس (١٨/١٠)

(٤٠) سورة التوبة (٣١/٩)

فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم اياهم «<sup>(٤١)</sup>.

قال تعالى :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ  
بِهِ اللَّهُ ﴾<sup>(٤٢)</sup>

وقال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي  
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ○ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ  
فُلَانًا خَلِيلًا ○ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾<sup>(٤٣)</sup>

## ( طاعة الرسول هي طاعة الله )

فالرسول وجبت طاعته ، لأنه من يطع الرسول فقد اطاع الله ،  
فالحلال ما حلَّه ، والحرام ما حرَّمه ، والدين ما شرعه ، ومن سوى الرسول  
من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك انما تجب طاعتهم اذا كانت طاعتهم  
طاعة لله ، وهم اذا امر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخله في طاعة  
الرسول ، قال تعالى :

---

(٤١) أخرجه الترمذى (٣٠٩٥ رقم ٢٧٨/٥) وقال حديث غريب . والبيهقى فى «سننه» (١١٦/١٠)  
وانظر «الدر المنثور» (١٧٤/٤) .

(٤٢) سورة الشورى (٢١/٤٢)

(٤٣) سورة الفرقان (٢٨-٢٧/٢٥)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ  
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾<sup>(٤٤)</sup>

فلم يقل واطيعوا الرسول واطيعوا اولى الأمر منكم ، بل جعل طاعة  
اولى الأمر داخله في طاعة الرسول ، وطاعة الرسول طاعة لله ، واعاد  
الفعل في طاعة الرسول دون طاعة اولى الامر ، فانه من يطع الرسول  
فقد اطاع الله ، فليس لاحد اذا امر الرسول بأمر ان ينظر هل امر الله به  
ام لا ، بخلاف اولى الامر فانهم قديأمرون بمعصية الله ، فليس كل من  
اطاعهم مطيعاً لله . بل لابدّ فيما يأمرون به ان يعلم انه ليس معصية الله ،  
وينظر هل امر الله به ام لا ، سواء كان اولى الامر من العلماء او الامراء ،  
يدخل في هذا تقليد العلماء وطاعة امراء السرايا وغير ذلك ، وبهذا  
يكون الدين كله لله قال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ  
لِلَّهِ ﴾<sup>(٤٥)</sup>

وقال النبي ﷺ :

« لما قيل له : يارسول الله ! الرجل يقاتل شجاعة ،  
ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء . فأى ذلك في  
سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي  
العليا فهو في سبيل الله »<sup>(٤٦)</sup>

(٤٤) سورة النساء (٥٩/٤)

(٤٥) سورة الانفال (٣٩/٨)

(٤٦) اخرجہ البخاری فی العلم (٤٠/١) وفي التوحيد (١٨٩/٨) ومسلم في  
الامارة (١٥١٢/٢-١٥١٣-١٥١٤ رقم ١٩٠٤) والترمذی في فضائل الجهاد (١٧٩/٤ رقم ١٦٤٦) وابن ماجه  
في الجهاد (٩٣١/٢ رقم ٢٧٨٣) واحمد في «المسند» (٤١٧،٤٠٥،٣٩٧/٤) والبيهقي في  
«سننه» (١٦٨،١٦٧/٩) .

ثم ان كثيرًا من الناس يجب خليفة او عالما او شيخا او اميرا فيجعله ندًا لله ، وان كان قديقول : انه يحبه الله .

فن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه وان خالف امرالله ورسوله فقد جعله ندًا ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، ويدعوه ويستغيث به ، ويوالى اوليائه ، ويعادى اعداءه مع ايجابه طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحمله ويحرمه ، ويقمه مقامالله ورسوله فهذا من الشرك الذى يدخل اصحابه في قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾<sup>(٤٧)</sup>

فالتوحيد والاشراك يكون فى اقوال القلب ، ويكون فى اعمال القلب ولهذا قال الجنيد : التوحيد قول القلب ، والتوكل عمل القلب .

اراد بذلك التوحيد الذى هو التصديق ، فانه لما قرنه بالتوكل جعله اصله ، واذا افرد لفظ التوحيد فهو يتضمن قول القلب وعمله ، والتوكل من تمام التوحيد .

## ( معنى الايمان )

وهذا كلفظ «الايمان» فانه اذا افرد دخلت فيه الاعمال الباطنة والظاهرة .

وقيل الايمان قول وعمل ، اى قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح .

(٤٧) سورة البقرة(٢/١٦٥)

ومنه قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه :

« الايمان بضع وستون شعبة ، اعلاها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان »<sup>(٤٨)</sup>

ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾<sup>(٤٩)</sup>

وقوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾<sup>(٥٠)</sup>

وقوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾<sup>(٥١)</sup>

(٤٨) هكذا في الاصل «بضع وستون» بدون شك . والرواية بهذه اللفظة مختصرة اخرجها مسلم في الايمان . ورواية المتن جاءت بالشك «بضع وستون أو بضع وسبعون» اخرجها مسلم ايضاً وجاءت «بضع وسبعون» بدون شك عند مسلم وغيره . وراجع الكلام عليها في «شعب الايمان» (١-بتحقيقنا) .

(٤٩) سورة الحجرات(١٥/٤٩)

(٥٠) سورة الانفال(٤-٢/٨)

(٥١) سورة النور(٦٢/٢٤)



و«الايان المطلق» يدخل فيه الاسلام كما في الصحيحين<sup>(٥٢)</sup> عن النبي ﷺ انه قال لو قد عبد القيس :

«أمركم بالايان بالله ؛ أتدرون ما الايمان بالله ؟ شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وان تؤدوا خمس ماغنمتم »

ولهذا قال من قال من السلف : كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً .

واما اذا قرن لفظ الايمان بالعمل أو بالاسلام فانه يفرق بينهما كما في قوله تعالى :

﴿ إِنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

وهو في القران كثير ، وكما في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح<sup>(٥٣)</sup> لمأسأله جبريل عن الاسلام والايان والاحسان فقال :

« الاسلام : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

قال فما الايمان ؟ قال :

---

(٥٢) حديث وفد عبد القيس اخرجه البخارى فى الايمان (١٩/١) وفى العلم (٣٠/١) وفى الآحاد (١٣٦/٨) وغيرها من المواضع - ومسلم فى الايمان (٤٧/١) وراجع تخريجه كاملاً فى «شعب الايمان» (رقم ١٨) .

(٥٣) حديث سوال جبريل اخرجه البخارى (١٨/١) ومسلم (٣٩/١) عن ابي هريرة . وتفرد مسلم باخراجه من حديث عمر بن الخطاب وراجع التفصيل فى «شعب الايمان» (١٩) .

« ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ،  
والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »

قال : فالاحسان ؟ قال :

« ان تعبدالله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »

ففرق في هذا النص بين الاسلام والايان لماقرن بين الاسمين وفي ذلك  
النص ادخل الاسلام في الايمان لما افردته بالذكر .

وكذلك لفظ «العمل» فان الاسلام المذكور هو من العمل ، والعمل  
الظاهر هو موجب ايمان القلب ومقتضاه ، فاذا حصل ايمان القلب حصل  
ايمان الجوارح ضرورة ، وايمان القلب لا بد فيه من تصديق القلب  
وانقياده ، والا فلوصدق قلبه بان محمداً رسول الله وهو يبغضه ويحسده  
ويستكبر عن متابعتة لم يكن قد آمن قلبه .

و «الايان» وان تضمن التصديق فليس هو مرادفاً له ، فلا يقال لكل  
مصدق بشئى : انه مؤمن به . فلو قال : انا صدق بأن الواحد نصف  
الاثنين ، وان السماء فوقنا والارض تحتنا ، ونحو ذلك مما يشاهده الناس  
ويعلمونه لم يقل لهذا : انه مؤمن بذلك ؛ بل لا يستعمل الا فيمن أخبر  
بشئى من الامور الغائبة كقول اخوة يوسف :

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾<sup>(٥٤)</sup>

فانهم اخبروه بما غاب عنه وهم يفرقون بين من آمن له وآمن به  
فالاول يقال للمخبر ، والثاني يقال للمخبر به كما قال اخوة يوسف :

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾

وقال تعالى :

(٥٤) سورة يوسف (١٧/١٢)

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ ﴾<sup>(٥٥)</sup>

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ  
أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٥٦)</sup>

ففرق بين ايمانه بالله وايمانه للمؤمنين ؛ لان المراد يصدق المؤمن اذا  
أخبروه واما ايمانه بالله فهو من باب الاقرار به .

ومنه قوله تعالى عن فرعون وملائته :

﴿ أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾<sup>(٥٧)</sup> اى تقر لها ونصدقها .

ومنه قوله :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ  
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٥٨)</sup>

ومنه قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾<sup>(٥٩)</sup>

ومن المعنى الآخر قوله تعالى :

---

(٥٥) سورة يونس (٨٢/١٠)

(٥٦) سورة التوبة (٦١/٩)

(٥٧) سورة المؤمنون (٤٧/٢٣)

(٥٨) سورة البقرة (٧٥/٢)

(٥٩) سورة العنكبوت (٢٦/٢٩)

﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾<sup>(٦٠)</sup>

وقوله :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ  
آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَانْفِرَاقٍ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِّنْ رُّسُلِهِ ﴾<sup>(٦١)</sup>

وقوله :

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾<sup>(٦٢)</sup>

أى اقر بذلك ومثل هذا فى القرآن كثير .

و (المقصود هنا) ان لفظ «الايان» انما يستعمل فى بعض الاخبار ،  
وهو مأخوذ من الأمان ، كما ان الاقرار مأخوذ من قر ، فالؤمن صاحب  
امن ، كما ان المقر صاحب إقرار ، فلايد فى ذلك من عمل القلب بموجب  
تصديقه ، فاذا كان عالما بأن محمدا رسولا لله ، ولم يقتنر بذلك حبه  
وتعظيمه بل كان يبنغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس  
بمؤمن به بل كافر به .

ومن هذا الباب كفر إبليس وفرعون واهل الكتاب الذين يعرفونه  
كما يعرفون أبناءهم وغير هؤلاء ، فان ابليس لم يكذب خبرا ولا مخبرا بل  
استكبر عن امر ربه . وفرعون وقومه قال الله فيهم :

(٦٠) سورة البقرة (٢/٢)

(٦١) ايضاً (٢/٢٨٥)

(٦٢) ايضاً (٢/١٧٧)

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾<sup>(٦٣)</sup>

وقال له موسى :

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
بَصَائِرَ ﴾<sup>(٦٤)</sup>

وقال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ ﴾<sup>(٦٥)</sup>

فمجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل  
حبة القلب له ، واتباع القلب له لم ينفع صاحبه ، بل اشدُّ الناس عذابا  
يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد كان النبي ﷺ يقول :

« اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس  
لا تشبع ، ودعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع »<sup>(٦٦)</sup>

ولكن الجهمية ظنوا ان مجرد علم القلب وتصديقه هو الايمان ، وان  
من دل الشرع على انه ليس بمؤمن فان ذلك يدل على عدم علم قلبه ،  
وهذا من اعظم الجهل شرعا وعقلا . وحقيقتها توجب التسوية بين المؤمن  
والكافر ، ولهذا اطلق وكيع بن الجراح واحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة  
كفرهم بذلك ، فانه من المعلوم ان الانسان يكون عالما بالحق ويبغضه  
لفرض آخر ، فليس كل من كان مستكبرا عن الحق يكون غير عالم به ،

(٦٣) سورة المل (٢٧/١٤)

(٦٤) سورة الاسراء (١٧/١٠٢)

(٦٥) سورة البقرة (٢/١٤٦)

(٦٦) احرجه مسلم في الذكر (٢٠٨٨/٣) من حديث ريد بن ارقم . واحرجه البيهقي في «شعب  
الايام» (الشعبة ١٨) من حديث اس . وراجع تحريجه هناك .

وحيثُذ فالايان لابد فيه من تصديق القلب وعمله ، وهذا معنى قول السلف : الايمان قول وعمل .

ثم انه اذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للارادة لزم وجود الأفعال الظاهرة ، فان الارادة الجازمة اذ اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً ، وانما ينتفى وجود الفعل لعدم كمال القدرة ، او لعدم كمال الارادة ، والا فع كالمها يجب وجود الفعل الاختياري ، فاذا اقر القلب اقراراً تاماً بان محمداً رسول الله واحبه محبة تامة امتنع مع ذلك ان لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك ، لكن ان كان عاجزاً لخرس ونحوه او لخوف ونحوه لم يكن قادراً على النطق بها .

و«ابوطالب» وان كان عالماً بان محمداً رسول الله وهو محبٌ له فلم تكن محبته له لمحبهته لله ، بل كان يحبه لأنه ابن اخيه فيحبه للقرابة ، واذا احب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة ، فأصل محبوبه هو الرئاسة ، فلماذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى ان بالاقرار بها زوال دينه الذي يحبه . فكان دينه احب اليه من ابن اخيه فلم يقر بها — فلو كان يحبه لأنه رسول الله كما كان يحبه ابوبكر الذي قال الله فيه :

﴿ وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ○ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ○  
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ○ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ  
رَبِّهِ الْأَعْلَى ○ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾<sup>(٦٧)</sup>

وكا كان يحبه سائر المؤمنين به ، كعمر وعثمان وعلى وغيرهم لنطق بالشهادتين قطعاً — فكان حبه حبا مع الله لاجبا لله ، ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول وموازرتة لأنه لم يعمله لله ، والله لا يقبل من العمل الا ما يريد به وجهه ، بخلاف الذي فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه الأعلى .

(٦٧) سورة الليل(٩٢/١٧-٢١)

## ( الدين لا يكمل الا بالعمل )

وهذا مما يحقق ان «الايان ، والتوحيد» لابد فيها من عمل القلب ، كحب القلب ، فلا بد من اخلاص الدين لله ، والدين لا يكون ديناً الا بعمل ، فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة ؛ وقد انزل الله عز وجل سورتي الاخلاص<sup>(٦٨)</sup>

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

احدهما في توحيد القول والعلم . والثانية في توحيد العمل والارادة ،  
فقال في الأول :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ○ اللَّهُ الصَّمَدُ ○ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ○  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

فأمره ان يقول هذا التوحيد وقال في الثاني :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ  
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ  
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينٍ ﴾

فأمره ان يقول ما يوجب البراءة من عبادة غير الله واخلاص العبادة  
لله .

و «العبادة» اصلها القصد والارادة . والعبادة اذا أُفردت دخل فيها  
التوكل ونحوه ، واذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسماً لها ، كما ذكرناه في  
لفظ الايمان ، قال تعالى :

(٦٨) انظر «تفسير سورة الاخلاص» لشيخ الاسلام - طبعة الدار السلفية .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٦٩)</sup>

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾<sup>(٧٠)</sup>

فهذا ونحوه يدخل فيه فعل المأمورات وترك المحظورات ؛ والتوكل من ذلك ، وقد قال في موضع آخر :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

وقال :

﴿ فَاغْبُذْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٧١)</sup>

## ( تنوع دلالة الفاظ القرآن )

ومثل هذا كثيرا ما يجئ في القرآن : تتنوع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب الافراد والاقتران ؛ كلفظ «المعروف والمنكر» فانه قد قال :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ : تَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٧٢)</sup>

وقال :

---

(٦٩) سورة الذاريات(٥٦/٥١)

(٧٠) سورة البقرة(٢١/٢)

(٧١) سورة هود(١٢٣/١١)

(٧٢) سورة آل عمران(١١٠/٣)



﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٧٣)</sup>

وقال :

﴿ يَا مَرْهَمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٧٤)</sup>

فالمنكر يدخل فيه ماكرهه الله : كما يدخل في المعروف ما يحبه الله .

وقد قال في موضع آخر :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٧٥)</sup>

فعطف المنكر على الفحشاء ، ودخل في المنكر هنا البغى . وقال في

موضع آخر :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى  
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾<sup>(٧٦)</sup>

فقرن بالمنكر الفحشاء والبغى .

ومن هذا الباب لفظ «الفقراء ، والمساكين» اذا أفرد احدهما دخل فيه الآخر ، واذا قرن احدهما بالآخر صار بينهما فرق ؛ لكن هناك احد الاسمين اعم من الآخر ، وهنا بينهما عموم وخصوص ، فحبة الله وحده والتوكل عليه وحده وخشية الله وحده ونحو هذا كل هذا يدخل في توحيد الله تعالى ، قال تعالى في المحبة :

(٧٣) سورة التوبة(٧١/٩)

(٧٤) سورة الاعراف(١٥٧/٧)

(٧٥) سورة العنكبوت(٤٥/٢٩)

(٧٦) سورة النمل(٩٠/١٦)

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾<sup>(٧٧)</sup>

وقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾<sup>(٧٨)</sup>

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾<sup>(٧٩)</sup>

فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾<sup>(٨٠)</sup>

وقال تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَعْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾<sup>(٨١)</sup>

(٧٧) سورة البقرة(٢/١٦٥)

(٧٨) سورة التوبة(٩/٢٤)

(٧٩) سورة النور(٢٤/٥٢)

(٨٠) سورة التوبة(٩/٥٩)

(٨١) سورة الم نشرح(٩٤/٧-٨)

فجعل التحسب والرغبة الى الله وحده .  
وهذه الامور مبسوطه في غير هذا الموضع .

## ( تحقيق توحيد الالهية )

و (المقصود هنا) ان قول القائل : ﴿ لا اله الا انت ﴾ فيه افراد الالهية لله وحده وذلك يتضمن التصديق لله قولاً وعملاً ، فالمشركون كانوا يَقْرُونَ بان الله رب كل شيء ؛ لكن كانوا يجعلون معه آلهة أخرى ، فلا يَخْصُونه بالالهية . وتخصيصه بالالهية يوجب ان لا يعبد الا اياه ، وان لا يسأل غيره ، كما في قوله :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

فان الانسان قديقصد سؤال الله وحده والتوكل عليه ، لكن في امور لا يحبها الله ، بل يكرهها وينهى عنها ، فهذا وان كان مخلصاً له في سؤاله والتوكل عليه ، لكن ليس هو مخلصاً في عبادته وطاعته ، وهذا حال كثير من اهل التوجهات الفاسدة أصحاب الكشوفات والتصرفات المخالفة لأمرالله ورسوله ، فانهم يعانون على هذه الأمور .

وكثير منهم يستعين الله عليها لكن لما لم تكن موافقة لأمرالله ورسوله حصل لهم نصيب من العاجلة ، وكانت عاقبتهم عاقبة سيئة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا  
إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ  
كَفُورًا ﴾<sup>(٨٢)</sup>

(٨٢) سورة الاسراء (٦٧/١٧)

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ  
قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ  
مُسَّهُ ﴾ (٨٣)

وطائفة اخرى قديقصدون طاعة الله ورسوله ، لكن لا يحققون التوكل عليه والاستعانة به . فهولاء يثابون على حسن نيتهم ، وعلى طاعتهم ، لكنهم مخذولون فيما يقصدونه ، إذ لم يحققوا الاستعانة بالله والتوكل عليه ، ولهذا يبتلى الواحد من هولاء بالضعف والجزع تارة ، وبالاعجاب أخرى ، فان لم يحصل مراده من الخير كان لضعفه وربما حصل له جزع . فان حصل مراده نظر الى نفسه وقوته فحصل له اعجاب ، وقديمعجب بحاله فيظن حصول مراده فيخذل . قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ  
شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ  
مُذَبِّرِينَ ﴾ (٨٤) الى قوله : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

## ( الفرق بين الرياء والعجب )

وكثيرا مايقرن الناس بين الرياء والعجب ، فالرياء من باب الاشراك بالخلق ، والعجب من باب الاشراك بالنفس وهذا حال المستكبر ، فالمرأى لا يحقق قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والمُعجب لا يحقق

(٨٣) سورة يونس(١٠/١٢)

(٨٤) سورة التوبة(٩/٢٥-٢٧)

قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فمن حقق قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ خرج  
عن الرياء ومن حقق قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ خرج عن  
الاعجاب ، وفي الحديث المعروف :

« ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ،  
واعجاب المرء بنفسه »<sup>(٨٥)</sup>

وشر من هولاء وهولاء من لا تكون عبادته لله ولا استعانته بالله بل  
يعبد غيره ويستعين غيره وهؤلاء المشركون من الوجهين .

ومن هولاء من يكون شركه بالشياطين كاصحاب الأحوال الشيطانية  
فيفعلون ماتجبه الشياطين من الكذب والفجور ويدعون به بأدعية تجبها  
الشياطين ويعزمون بالعزائم التي تطيعها الشياطين مما فيها اشراك بالله .  
كما قد بسط الكلام عليهم في مواضع اخر .

وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن انه من كرامات الأولياء .  
وانما هو من احوال السحرة والكهان ، ولهذا يجب الفرق بين الأحوال  
الايمانية القرآنية والأحوال النفسانية والأحوال الشيطانية .

واما القسم الرابع فهم اهل التوحيد الذين اخلصوا دينهم لله فلم  
يعبدوا الا اياه ولم يتوكلوا الا عليه .

وقول المكروب : ﴿ لا اله الا أنت ﴾ قد يستحضر في ذلك احد  
النوعين دون الآخر فمن أتم الله عليه النعمة استحضر التوحيد في النوعين ،  
فان المكروب همته منصرفة الى دفع ضره وجلب نفعه ، فقد يقول :

---

(٨٥) روى عن حديث انس وعبدالله بن عباس وابي هريرة وعبدالله بن ابي اوفى وعبدالله بن  
عمر .

واخرجه البيهقي في «شعب الايمان» (الشعبة ١١) وتكلم عليه الشيخ الالباني في  
«الصحيحة» (١٨٠٢)

« لا اله الا الله » مستشعرا انه لا يكشف الضّرَّ غيرك ، ولا يأتي بالنعمة الا أنت فهذا مستحضّر توحيد الربوبية ، ومستحضر توحيد السؤال والطلب ، والتوكل عليه ، معرض عن توحيد الالهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به وهو أن لا يعبد الا اياه ولا يعبد الا بطاعته وطاعة رسوله ، فن استشعر هذا في قوله : ﴿ لا اله الا أنت ﴾ كان عبداً لله متوكلاً عليه وكان ممثلاً لقوله :

﴿ فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٨٦)</sup>

وقوله :

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(٨٧)</sup>

وقوله :

﴿ وَأذْكُرْ أَنْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ○ رَبُّ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ لِأَلَةٍ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾<sup>(٨٨)</sup>

ثم ان كان مطلوبه محرماً أمم وان قضيت حاجته . وان كان طالباً مباحاً لغير قصد الاستعانة به على طاعة الله وعبادته ، لم يكن أمماً ولا مثاباً ، وان كان طالباً مايعينه على طاعة الله وعبادته لقصد الاستعانة به على ذلك كان مثاباً ماجوراً .

وهذا مما يفرق به بين العبد الرسول وخلفائه ، وبين النبي الملك ، فان نبينا محمداً ﷺ خير بين ان يكون نبياً ملكاً او عبداً رسولاً ،

(٨٦) سورة هود(١١/١٢٣)

(٨٧) ايضاً(١١/٨٨)

(٨٨) سورة المزمل(٧٣/١٨٨)

فاختار ان يكون عبدًا رسولاً<sup>(٨٩)</sup>، فان العبد الرسول هو الذى لا يفعل الا ما أمر به ، ففعله كله عبادة لله ، فهو عبد محض مُنْفَذٌ أَمْرٍ مُرْسَلِهِ ، كما ثبت عنه فى صحيح البخارى<sup>(٩٠)</sup> انه قال :

« إني والله لا اعطى احداً ولا امنع احداً وانما انا قاسم  
أضع حيث امرت » .

وهو لم يرد بقوله « لا اعطى احداً ولا امنع » إفراد الله بذلك قدرًا وكونًا ، فان جميع المخلوقين يشاركونه فى هذا فلا يعطى احداً ولا يمنع الا بقضاء الله وقدره ، وانما اراد افراد الله بذلك شرعا ودينا . أى لأعطى الا من أمرت باعطائه ، ولا امنع الا من أمرت بمنعه ، فأنا مطيع لله فى إعطائى ومنعى ، فهو يقسم الصدقة والفيء والغنائم كما يقسم المواريث بين اهلها ، لأن الله امره بهذه القسمة .

## ( مال الله ورسوله ما يصرف فى طاعة الله ورسوله )

ولهذا كان المال حيث اضيف الى الله ورسوله فالمراد به ما يجب ان يُصرف فى طاعة الله ورسوله ، وليس المراد به انه ملكٌ للرسول ، كما ظنّه طائفة من الفقهاء ، ولا المراد به كونه مملوكا لله خلقًا وقدرًا ، فان جميع الأموال بهذه المثابة ، وهذا كقولہ :

﴿ قُلِ الْأَنْقَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾<sup>(٩١)</sup>

(٨٩) أخرجه البيهقى فى «شعب الايمان» (رقم ١٥٣) وراجع الكلام عليه هناك .

(٩٠) أخرجه البخارى فى الخمس (٤٩/٤) واحمد فى «المسند» (٤٨٢/٢) من حديث أبى هريرة .

(٩١) سورة الانفال (١/٨)

وقوله :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ  
وَلِلرَّسُولِ ﴾<sup>(٩٢)</sup> الآية .

وقوله :

﴿ وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾<sup>(٩٣)</sup> الى قوله ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى  
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي  
الْقُرْبَى ﴾ الآية .

فذكر في الفىء ما ذكر في الخمس .

فظن طائفة من الفقهاء ان الاضافة الى الرسول تقتضى انه يملكه ، كما  
يملك الناس املاكهم . ثم قال بعضهم : ان غنائم بدر كانت ملكا للرسول .  
وقال بعضهم : ان الفىء واربعة اخماسه كان ملكا للرسول . وقال بعضهم :  
ان الرسول انما كان يستحق من الخمس خُمسه . وقال بعض هؤلاء :  
وكذلك كان يستحق من خمس الفىء خسه ، وهذه الاقوال توجد في كلام  
طوائف من اصحاب الشافعى واحمد وابى حنيفة وغيرهم ، وهذا غلط من  
وجوه :

## ( دلائل خطأ رأى الفقهاء )

( منها ) ان الرسول لم يكن يملك هذه الاموال كما يملك الناس اموالهم ،

(٩٢) ايضاً (٤١/٨)

(٩٣) سورة الاحتر (٧-٦/٥٩)



ولا كما يتصرف الملوك في ملكهم ، فان هؤلاء وهؤلاء لهم ان يصرفوا اموالهم في المباحات ، فاما ان يكون مالكا له فيصرف في اغراضه الخاصة ، واما ان يكون مَلِكا له فيصرفه في مصلحة ملكه ، وهذه حال النبي الملك كداود وسليمان . قال تعالى :

﴿ فَأَمَّنْهُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(١٤)</sup>

اي اعط من شئت واحرم من شئت لاحساب عليك ، ونبينا كان عبداً رسولاً لا يعطى الا من امر باعطائه ، ولا يمنع الا من امر بمنعه ، فلم يكن يصرف الأموال الا في عبادة الله وطاعة له .

( ومنها ) ان النبي لا يُورَثُ ولو كان مَلِكا ، فان الأنبياء لا يورثون فاذا كان ملوك الأنبياء لم يكونوا ملاكا كما يملك الناس اموالهم ، فكيف يكون صفة الرسل الذي هو عبداً رسولاً مالكا .

( ومنها ) ان النبي ﷺ كان ينفق على نفسه وعياله قدر الحاجة ، ويصرف سائر المال في طاعة الله لا يستفضله ، وليست هذه حال الملأك ، بل المال الذي يتصرف فيه كله هو مال الله ورسوله ، بمعنى ان الله امر رسوله ان يصرف ذلك المال في طاعته ، فتجب طاعته في قسمه ، كاتجب طاعته في سائر ما يأمر به ؛ فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله ، وهو في ذلك مُبَلَّغٌ عن الله .

والاموال التي كان يقسمها النبي ﷺ على وجهين :

( منها ) : ما تَعَيَّنَ مستحقه ومصرفه كالموارث .

( ومنها ) ما يحتاج الى اجتهاده ونظره ورأيه ، فان ما امر الله به منه ما هو محدود بالشرع : كالصلاة الخمس ، وطواف الاسبوع بالبيت ، ومنه

(١٤) سورة ص (٢٨/٢٩)

ما يرجع في قدره الى اجتهاد المأمور فيزيده وينقصه بحسب المصلحة التي يجبهها الله .

فن هذا ما اتفق عليه الناس ، ومنه ما تنازعوا فيه : كتنازع الفقهاء فيما يجب للزوجات من النفقات : هل هي مقدرة بالشرع ؟ ام يرجع فيها الى العرف ، فتختلف في قدرها وصفتها باختلاف احوال الناس ؟ .  
وجمهور الفقهاء على القول الثاني ، وهو الصواب لقول النبي ﷺ هُند :

« خَذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدِكَ بِالْمَعْرُوفِ »<sup>(٩٥)</sup>

وقال ايضاً : في خطبة المعروفة :

« لِلنِّسَاءِ كِسْوَتُهُنَّ وَنَفَقَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ »<sup>(٩٦)</sup>

وكذلك تنازعوا ايضاً فيما يجب من الكفارات : هل هو مقدر بالشرع أو بالعرف ؟

فما أضيف الى الله والرسول من الأموال كان المرجع في قسمته الى امر النبي ﷺ ؛ بخلاف ما سُميَ مستحقوه كالموارث ، ولهذا قال النبي ﷺ عام حنين :

« ليس لي مما افاء الله عليكم الا الخمس ، والخمس مردود عليكم »<sup>(٩٧)</sup>

---

(٩٥) أخرجه البخاري في البيوع (٣٦/٢) وفي النفقات (١٩٣/٦) ومسلم في الاقضية (١٣٣٨/٢ رقم ٧)

والنسائي في آداب القضاة (٢٤٦/٨-٢٤٧) وابن ماجه في التجارات (٧٦٩/٢ رقم ٢٢٩٣) والدارمي (٥٥٥) .

(٩٦) راجع خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع عند مسلم (٨٨٦/١-٨٩٢ رقم ١٢١٨) وابن داود (٤٥٥/٢-٤٦٤ رقم ١٩٠٥) وابن ماجه (١٠٢٢/٢-١٠٢٧ رقم ٣٠٧٤) .

(٩٧) أخرجه ابوداود (١٨٨/٣ رقم ٢٧٥٥) والحاكم (٦١٦/٣) والبيهقي في «سننه» (٣٣٩/٦) عن عمرو

بن عتبة

اي ليس له بحكم القسم الذي يرجع فيه الى اجتهاده ونظره الخاص  
الا الخمس ، ولهذا قال : « وهو مردود عليكم » بخلاف اربعة اخماس  
الغنية فانه لمن شهد الوقعة .

ولهذا كانت الغنائم يقسمها الأمراء بين الغانمين ، والخمس يرفع الى  
الخلفاء الراشدين المهديين الذي خلفوا رسول الله ﷺ في امته فيقسمونها  
بامرهم ، فاما اربعة الاخماس فانما يرجعون فيها ليعلم حكم الله ورسوله  
كما يستفتى المستفتى ، وكما كانوا في الحدود لمعرفة الامر الشرعى ، والنبي ﷺ  
اعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين ما اعطاهم ؛ فقيل : إن ذلك كان من  
الخمس ؛ وقيل : انه كان من اصل الغنية ؛ وعلى هذا القول فهو فعل  
ذلك لطيب نفوس المؤمنين بذلك ؛ ولهذا أجاب من عتب من الأنصار  
بما زال عتبه واراد تعويضهم عن ذلك .

ومن الناس من يقول الغنية قبل القسمة لم يملكها الغانمون ؛ وان  
للامام ان يتصرف فيها باجتهاده كما هو مذكور في غير هذا الموضع .

## ( العباداة والسؤال وسيلتان لتحقيق توحيد الالهية وتوحيد الربوبية )

فان المقصود هنا بيان حال العبد المخلص لله الذي يعبده ويستعينه ،  
فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله :

﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

---

= واخرج ابوداود(١٤٢/٣-١٤٣رقم٢٦٩٤) والنسائي(١٣١/٧) واحمد والبيهقي(٢٣٦٦-٢٣٧) عن  
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بمثله . وراجع «ارواء الغليل»(١٢٤٠)

توحيد الالهية وتوحيد الربوبية ؛ وان كانت الالهية تتضمن الربوبية ؛  
والربوبية تستلزم الالهية ؛ فان احدهما اذا تَصَمَّنَ الآخرَ عند الانفراد لم يمنع  
ان يختص بمعناه عند الاقتران ، كما في قوله :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ﴾<sup>(٩٨)</sup>

وفي قوله :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فجمع بين الاسمين : اسم الاله واسم الرب . فان «الاله» هو المعبود الذي  
يستحق ان يعبد . و«الرب» هو الذي يرب عبده فيدبره .

## ( الله والرب )

ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله ، والسؤال متعلقا باسمه الرب ،  
فان العبادة هي الغاية التي لها خلق الخلق ، والالهية هي الغاية ،  
الربوبية تتضمن خلق الخلق وانشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم ، والمصلى  
اذا قال :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية ، فالعبادة  
غاية مقصودة ، والاستعانة وسيلة اليها ، تلك حكمة وهذا سبب ، والفرق  
بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف ، ولهذا يقال : أول الفكرة آخر  
العمل وأول البغية آخر الدرك .

---

(٩٨) سورة الناس (١١٤/٣-)

فالعلة الغائية متقدمة في التصور والارادة وهي متأخرة في الوجود ،  
فالؤمن يقصد عبادة الله ابتداء وهو يعلم ان ذلك لا يحصل إلا باعانته  
فيقول :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ولما كانت العبادة متعلقة باسمه : الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة  
بهذا الاسم مثل كلمات الأذان ، الله اكبر ، الله اكبر . ومثل الشهاداتين :  
اشهد ان لا اله الا الله . اشهد ان محمدا رسول الله ومثل التشهد : «التحيات  
لله» ومثل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير : سبحان الله ، والحمد لله ،  
لاله الا الله ، الله اكبر .

وأما السؤال فكثيرا ما يجيء باسم الرب كقول آدم وحواء :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٩٩)</sup>

وقول نوح :

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ  
عِلْمٌ ﴾<sup>(١٠٠)</sup>

وقول موسى :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾<sup>(١٠١)</sup>

قول الخليل :

---

(٩٩) سورة الاعراف(٢٣/٧)

(١٠٠) سورة هود(٤٧/١١)

(١٠١) سورة القصص(١٦/٢٨)

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ  
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ <sup>(١٠٢)</sup> ۝ الآية .

وقوله مع اسماعيل :

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ <sup>(١٠٣)</sup>

وكذلك قول الذين قالوا :

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً  
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ <sup>(١٠٤)</sup> ومثل هذا كثير .

وقد نقل عن مالك انه قال : أكره للرجل ان يقول في دعائه :  
ياسيدى ! ياسيدى ! ياحنان ! ياحنان ! ولكن يدعو بما دعت به  
لأنبياء ، ربنا ! ربنا ! نقله عنه العتيبي <sup>(١٠٥)</sup> في العتبية .

وقال تعالى : عن اولى الالباب :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ  
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

(١٠٢) سورة ابراهيم (٢٧/١٤)

(١٠٣) سورة البقرة (١٢٧/٢)

(١٠٤) ايضاً (٢٠١/٢)

(١٠٥) العتيبي ، ابو عبدالله ، محمد بن احمد بن عبدالعزير بن عتبة بن حميد بن عتبة بن  
ابوسفيان ، الاموى السفياني القرطبي ، المالكي (م٢٥٥هـ)

فقيه الاندلس ، وصاحب كتاب العتبية رحل وأحد عن سحنون وأصع  
وبطرائها ، وكان حافظاً للسائل ، حامعاً لها ، عالماً بالموارل جمع المستخرجة  
(وهى العتبية) وأكثر فيها من الروايات المطروحة ، والمسائل الشادة

راجع ترجمته في «تاريخ علماء الاندلس» (٧-٦/٢) «السير» (٢٣٦-٢٣٥/١٢)  
«الواق» (٣٠/٢) «ترتيب المدارك» (١٤٦-١٤٤/٣) «الديباح المذهب» (٢٣٨)

هَذَا بِاطِلَاءِ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠٦﴾ الْآيَات .

فاذا سبق الى قلب العبد قصد السؤال ناسب أن يسأله باسمه الرب .  
وان سأله باسمه الله لتضمنه اسم الرب كان حسناً ، واما اذا سبق الى قلبه  
قصد العبادة فاسم الله أولى بذلك . اذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله ، واذا قصد  
الدعاء باسم الرب ، ولهذا قال يونس :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٧)

وقال آدم :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٠٨)

فان يونس عليه السلام ذهب مغاضبا ، وقال تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ (١٠٩)

وقال تعالى :

﴿ فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (١١٠)

ففعل ما يلام عليه فكان المناسب لحاله ان يبدأ بالثناء على ربه ،  
والاعتراف بانه لاله الا هو فهو الذى يستحق ان يُعبد دون غيره  
فلا يُطاع الهوى ، فان اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده .

(١٠٦) سورة ال عمران (١٩١/٣)

(١٠٧) سورة الأنبياء (٨٧/٢١)

(١٠٨) سورة الاعراف (٢٣/٧)

(١٠٩) سورة القلم (٤٨/٦٨)

(١١٠) سورة الصافات (١٤٢/٣٧)

وقد روى ان يونس عليه السلام ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد ان اظلمهم وخاف ان ينسبوه الى الكذب ففاضب ، وفعل ما اقتضى الكلام الذى ذكره الله تعالى وان يقال ﴿ لا اله الا الله ﴾ وهذا الكلام يتضمن براءة ماسوى الله من الالهية ، سواء صدر ذلك عن هوى النفس او طاعة الخلق او غير ذلك . ولهذا قال :

﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

والعبد يقول مثل هذا الكلام فيما يظنه وهو غير مطابق ، وفيما يريده وهو غير حسن .

وأما آدم عليه السلام فانه اعترف اولا بذنبه فقال : ﴿ ظلمنا انفسنا ﴾ ولم يكن عند آدم من ينازعه الارادة لما امر الله به . مما يزاحم الالهية بل ظن صدق الشيطان الذى :

﴿ قاسمهما إني لكما لمن الناصحين ، قد لاهما  
بغرور ﴾<sup>(١١١)</sup>

فالشيطان غرهما وأظهر نصحها فكانا فى قبول غروره وما اظهر من نصحها حالهما مناسباً لقولها : ﴿ ربنا ظلمنا انفسنا ﴾ لما حصل من التفريط ، لا لأجل هوى وحظ يزاحم الالهية ، وكانا محتاجين الى ان يربها ربوبية تكل علمها وقصدها ، حتى لا يفتراً بمثل ذلك ، فهما يشهدان حاجتها الى الله ربهما الذى لا يقضى حاجتها غيره .

وذوالنون شهد ما حصل من التقصير فى حق الالهية بما حصل من المغاضبة وكراهة انجاء اولئك ، ففى ذلك من المعارضة فى الفعل لحب شئى آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتألمه له وان يقول : ( لا اله الا انت ) فان قول العبد : لا اله الا انت ، يحوان يتخذ الهه هواه .  
وقد روى :

(١١١) سورة الاعراف (٢١٧-٢٢٠)



« ماتحت أديم السماء الة يُعبد اعظم عندالله من هوى  
مُتَّبِعٌ »<sup>(١١٢)</sup>

فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق الهيته لله ، ومحو الهوى الذى  
يتخذ لها من دونه . فلم يبق له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قوله  
« لاله الا انت » ارادة تزامم الهية الحق ، بل كان مخلصا لله الدين اذ كان  
من افضل عبادالله المخلصين .

و( ايضا ) فمثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له ، فيبقى فيه نوع  
مغاضبة للقدر ومعارضة له فى خلقه وامره ، ووساوس فى حكته  
ورحمته ، فيحتاج العبد ان ينفى عنه شيئين : الآراء الفاسدة والأهواء  
الفاسدة ، فيعلم ان الحكمة والعدل فيما اقتضاه علمه وحكته لافيا اقتضاه  
علم العبد وحكته ، ويكون هواه تبعا لما امرالله به ، فلا يكون له مع  
امرالله وحكمه هوى يخالف ذلك . قال الله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ  
بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ  
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾<sup>(١١٣)</sup>

وقد روى عنه عليه السلام انه قال :

« والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه  
تبعا لما جئت به »<sup>(١١٤)</sup> رواه ابو حاتم فى صحيحه .

---

(١١٢) رواه الطبرانى فى «الكبير» عن ابى امامة . وقال الهيثمى : فيه الحسن بن دينار وهو  
متروك الحديث (مجمع الزوائد، ١/١٨٨) .

(١١٣) سورة النساء (٤/٦٥)

(١١٤) ورواه البغوى فى «شرح السنة» (١/٢١٣)

وفي الصحيح<sup>(١١٥)</sup>

« ان عمر قال له : يارسول الله ! والله لأنت احب الي من نفسى . قال : الآن يا عمر »

وفي الصحيح<sup>(١١٦)</sup> عنه ﷺ انه قال :

« لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين »

وقال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا . وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾<sup>(١١٧)</sup>

فاذا كان الايمان لا يحصل حتى يحكم العبد رسوله ويسلم له ، ويكون هواه تبعًا لما جاء به ، ويكون الرسول والجهاد في سبيله مقدمًا على حب الانسان نفسه وماله واهله ، فكيف في تحكيمه الله تعالى والتسليم له ؟ ! فمن رأى قومًا يستحقون العذاب في ظنه ، وقد غفر الله لهم ورحمهم ، وكره هو ذلك ، فهذا امان يكون عن ارادة تخالف حكم الله واما عن ظن يخالف علم الله ، والله عليم حكيم . واذا علمت انه عليم ، وانه حكيم لم يبق لكرهية ما فعله وجه ، وهذا يكون فيما امر به وفيما خلقه ولم يأمرنا ان نكرهه ونغضب عليه .

(١١٥) اخرجه البخارى فى الايمان والنذور(٢١٨/٧) واحمد فى «المسند»(٢٣٦/٤)

(١١٦) رواه البخارى عن ابى هريرة وعن انس(٧/١) ومسلم عن انس(٦٧/١) وهو عند البيهقى فى «شعب الايمان»(الشعبة ١٤) .

(١١٧) سورة التوبة(٢٤/٩)

فأما ما امرنا بكرهته من الموجودات : كالكفر والفسوق والعصيان فعلينا ان نطيعه في امره بخلاف توبته على عباده وانجائه ايام من العذاب فان هذا من مفعولاته التي لم يأمرنا ان نكرهها ، بل هي مما يجبها فانه يجب التوايين ويحب المتطهرين . فكراهة هذا من نوع اتباع الارادة المزاحة للالهية . فعلى صاحبها ان يحقق توحيد الالهية فيقول : لاله الا انت .

فعلينا ان نحب ما يجب ، ونرضى ما يرضى ، ونأمر بما يأمر ، وننهى عما ينهى . فاذا كان ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾<sup>(١١٨)</sup> فعلينا ان نحبهم ؛ ولاناله مراداتنا المخالقة لمحابه .

## ( عصمة الأنبياء )

والكلام في هذا المقام مبنى على «اصل» : وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الايمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ؛ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدَأْتَدُوا ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١١٩)</sup>

(١١٨) راجع سورة البقرة (٢/٢٢٢)

(١١٩) نفس السورة (٢/١٣٦-١٣٧)

وقال :

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾<sup>(١٢٠)</sup>

وقال :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ  
آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَنْفُرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ  
مَنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا  
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(١٢١)</sup>

بخلاف غير الأنبياء فانهم ليسوا معصومين كأعصم الأنبياء ، ولو كانوا أولياء الله ، ولهذا من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء ، ومن سب غيرهم لم يقتل .

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة ؛ فان « النبي » هو المنبئ عن الله ، و« الرسول » هو الذي ارسله الله تعالى ، وكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين .

## ( تفنيد قصة الغرائق )

ولكن هل يصدر ما استدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ؟ هذا فيه قولان : والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك .

(١٢٠) ايضاً (١٧٧/٢)

(١٢١) ايضاً (٢٨٥/٢)

والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله : تلك الفرانيق العلى ، وان شفاعتهم لترجى وقالوا : ان هذا لم يثبت ، ومن علم انه ثبت : قال هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير ايضا ، وقالوا في قوله :

﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ <sup>(١٢٢)</sup> هو حديث النفس .

وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلًا ثابتًا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ <sup>(١٢٣)</sup>

فقالوا الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث ، والقرآن يوافق ذلك فان نسخ الله لما يلقي الشيطان واحكامه آياته انما يكون لرفع ما وقع في آياته ، وتمييز الحق من الباطل حتى

(١٢٢) سورة الحج (٢٢/٥٢)

وللشيخ المحدث ناصر الدين الاباني رسالة مفيدة سماها «نصب المجانيق على قصة الفرانيق» .

(١٢٣) سورة الحج (٢٢/٥٤-٥٢)

لا تختلط آياته بغيرها ، وجعل مالقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، والقاسية قلوبهم انما يكون اذا كان ظاهرا يسمعه الناس لابطاننا في النفس والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ .

وهذا النوع أدل على صدق الرسول ﷺ وبعده عن الهوى من ذلك النوع ، فانه اذا كان يأمر بامر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدق في ذلك ، فاذا قال عن نفسه ان الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وان ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك كان أدل على اعتماده للمصدق وقوله الحق ، وهذا كما قالت عائشة رضی الله عنها<sup>(١٢٤)</sup> :

« لو كان محمد كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾<sup>(١٢٥)</sup> .

ألا ترى ان الذي يعظم نفسه بالباطل يريد ان ينصر كل ماقاله ولو كان خطأ ، فبيان الرسول ﷺ ان الله احكم آياته ونسخ ماالقاء الشيطان هو ادل على تحريه للمصدق وبراءته من الكذب ، وهذا هو المقصود بالرسالة فانه الصادق المصدوق ﷺ تسليما ، ولهذا كان تكذيبه كفرا محضا بلاريب .

واما العصمة في غير مايتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع ، هل هو ثابت بالعقل او بالسمع ؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر او من بعضها ، ام هل العصمة انما هي الاقرار عليها لا في فعلها ؟ ام لايجب القول بالعصمة الا في التبليغ فقط ؟ وهل تجب العصمة من الكفر

(١٢٤) أخرجه البخارى في التوحيد(١٧٥/٨) ومسلم في الايمان(١٦٠/١ رقم٢٨٨) والترمذى في التفسير(٣٥٢/٥ رقم٢٢٠٧) واحمد في «المسند»(٢٤١/٦) وانظر «الدر المنثور»(٦١٢/٦) .

(١٢٥) سورة الاحزاب(٣٧/٣٣)

والذنوب قبل المبعث ام لا ؟ والكلام على هذا مبسوط في غير هذا  
الموضع .

والقول الذى عليه جمهور الناس ، وهو الموافق للآثار المنقولة عن  
السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، والرد على من  
يقول انه يجوز اقرارهم عليها ، وحجج القائلين بالعصمة اذا حررت انما  
تدل على هذا القول .

وحجج النفاة لاتدل على وقوع ذنب اقر عليه الانبياء ، فان القائلين  
بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع ، وذلك لايجوز الا مع تجويز  
كون الأفعال ذنوباً ، ومعلوم ان التأسى بهم انما هو مشروع فيما أُقِرُّوا عليه  
دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه ، فأما ما نسخ من الأمر والنهى فلايجوز  
جعله مأمورا به ولامنهياً عنه ، فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه .

وكذلك ما احتجوا به من ان الذنوب تُنافي الكمال ، او انها من  
عظمت عليه النعمة اقبح ، او انها توجب التنفير ، او نحو ذلك من  
الحجج العقلية ، فهذا انما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع ، والا  
فالتوبة النصوح التى يقبلها الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه ،  
كما قال بعض السلف : كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل  
الخطيئة .

وقال آخر : لو لم تكن التوبة احب الأشياء اليه ، لما ابتلى بالذنوب  
اكرم الخلق عليه .

وقد ثبت في الصحاح<sup>(١٢٦)</sup> حديث التوبة :

« لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا » الخ .

(١٢٦) اخرجه البخارى فى الدعوات(١٤٦٧) ومسلم فى التوبة(٢١٠٤/٣ رقم٢٧٤٧) من حديث  
انس

واخرجه البيهقى فى «شعب الايمان»(الشعبة٤٧) وراجع تخريجه فيه .

وقد قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾<sup>(١٢٧)</sup>

وقال تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾<sup>(١٢٨)</sup>.

وقد ثبت في الصحيح<sup>(١٢٩)</sup> حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبئ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر ، فيقول الله له :

« انى قد غفرتها لك وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول : اى رب ! ان لى سيئات لم اراها » .

اذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التى كان مشفقاً منها ان تظهر ، ومعلوم ان حاله هذه مع هذا التبديل اعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل .

وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير : ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة ، يعمل الحسنة فيُعجب بها ويفتخرُ بها حتى تدخله النار ، ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة .

وقد قال تعالى :

(١٢٧) سورة البقرة (٢/٢٢٢)

(١٢٨) سورة الفرقان (٢٥/٧٠)

(١٢٩) اخرجه مسلم في الايمان (١/١٧٧ رقم ١٩٠) والترمذى فى صفة جهنم (٤/٧١٣ رقم ٢٥٩٦) واحد فى «المسند» (٥/١٥٧-١٧٠) والبيهقى فى «الاسماء والصفات» (٧٤) .



﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ، لِيُعَذِّبَ اللَّهُ  
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
 وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ  
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١٣٠)

فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم .

وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي انزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاءه .

والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص «الأسماء والصفات» ونصوص «القدر» ونصوص «المعاد» وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار انها باطلة ، وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، وهؤلاء يقصد احدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم ، ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم .

ثم ان العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع ، وهي « العصمة في التبليغ » لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يَقْرُونَ بموجب ما بَلَّغْتَهُ الأنبياء ، وانما يقرون بلفظ حَرَفُوا معناه ، أو كانوا فيه كالأُميين الذين لا يعلمون الكتاب الا أُمَانِي ، والعصمة التي كانوا ادعوا لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم اليها عندهم ، فانها متعلقة بغيرهم لا بما امروا بالايمان به ، فيتكلم احدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله ، ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم ، وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَحْمِلُ وَعَلَيْكُمْ مَأْخِذَتُمْ ﴾ (١٣١) الآية .

(١٣٠) سورة الاحزاب(٧٣/٣٣)

(١٣١) سورة النور(٥٤/٢٤)

## ( توبة الأنبياء واستغفارهم )

والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء الا مقرونًا بالتوبة والاستغفار ، كقول آدم وزوجته :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١٣٢)</sup>

وقول نوح :

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١٣٣)</sup>

وقول الخليل عليه السلام :

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾<sup>(١٣٤)</sup>

وقوله :

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾<sup>(١٣٥)</sup>

(١٣٢) سورة الاعراف(٢٣/٧)

(١٣٣) سورة هود(٤٧/١١)

(١٣٤) سورة ابراهيم(٤١/١٤)

(١٣٥) سورة الشعراء(٨٢/٢٦)

وقول موسى :

﴿ أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ  
وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا  
هُدُنَا إِلَيْكَ ﴾<sup>(١٣٦)</sup>

وقوله :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾<sup>(١٣٧)</sup>

وقوله :

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١٣٨)</sup>

وقوله تعالى عن داود :

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ  
وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾<sup>(١٣٩)</sup>

وقوله تعالى عن سليمان :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُتَبَغَىٰ لِأَحَدٍ مِّنْ  
بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾<sup>(١٤٠)</sup>

---

(١٣٦) سورة الاعراف (٧/١٥٥-١٥٦)

(١٣٧) سورة القصص (٢٨/١٦)

(١٣٨) سورة الاعراف (٧/١٤٣)

(١٣٩) سورة ص (٣٨/٢٤-٢٥)

(١٤٠) ايضاً (٣٨/٣٥)

وأما يوسف الصديق فلم يذكر الله عنه ذنباً فهذا لم يذكر الله عنه ما يناسب الذنب من الاستغفار . بل قال :

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾<sup>(١٤١)</sup>

فاخبر انه صرف عنه السوء والفحشاء ، وهذا يدل على انه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء .

وأما قوله :

﴿ وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ، لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾<sup>(١٤٢)</sup>

فالهم اسم جنس تحتها «نوعان» كما قال الامام احمد لهم هان : هم خطرات ، وهم إصرار .

وقد ثبت في الصحيح<sup>(١٤٣)</sup> عن النبي ﷺ :

« ان العبد إذا هم بسيئة لم تكتب عليه ، وإذا تركها لله كتبت له حسنة وان عملها كتبت له سيئة واحدة »

وان تركها من غير أن يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب عليه سيئة .

(١٤١) سورة يوسف (١٢/٢٤)

(١٤٢) نفس الآية

(١٤٣) أخرجه البخارى فى الرقاق (٧/١٨٧) ومسلم فى الايمان (١/١١٨) رقم (١٣١) عن ابن عباس

وأخرجه البيهقى فى «شعب الايمان» (حديث رقم ٣٢٨) وانظر تحريجه فيه .

ويوسف عليه السلام هم ما تركه الله ، ولذلك صرف الله عنه السوء  
والفحشاء لاختلاصه ، وذلك انما يكون اذا قام المقتضى للذنب وهو الهيم ،  
وعارضة الاخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله .

فيوسف عليه السلام لم يصدر منه الا حسنة يثاب عليها ، وقال  
تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ  
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ <sup>(١٤٤)</sup>

وأما ما ينقل : من انه حل سراويله ، وجلس مجلس الرجل من  
المرأة ، وانه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده ، وأمثال ذلك ، فكله مما  
لم يخبر الله به ولا رسوله ، وما لم يكن كذلك فانما هو مأخوذ عن اليهود  
الذين هم من اعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم ، وكل من نقله  
من المسلمين فعنهم نقله ، لم ينقل من ذلك احد عن نبينا عليه السلام حرفاً  
واحداً .

## ( خطأ المفسرين )

وقوله :

﴿ وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا  
مَآرِحِمَ رَبِّي ﴾ <sup>(١٤٥)</sup>

فن كلام امرأة العزيز ، كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينه ،  
لا يرتاب فيها من تدبر القرآن ، حيث قال تعالى :

(١٤٤) سورة الاعراف (٢٠١/٧)

(١٤٥) سورة يوسف (٥٣/١٢)

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ  
 قَالَ : أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَأَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي  
 قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ، قَالَ  
 مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ  
 مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ  
 حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ  
 الصَّادِقِينَ ، ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ  
 لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ  
 لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴾<sup>(١٤٦)</sup>

فهذا كله كلام امرأة العزيز ، ويوسف إذ ذاك في السجن ، لم يحضر  
 بعد الى الملك ، ولا سمع كلامه ولا رآه ؛ ولكن لما ظهرت براءته في غيبته  
 — كقالت امرأة العزيز : ﴿ ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ﴾ اى  
 لم اخنه في حال مغيبه عنى وان كنت في حال شهوده راودته — فحينئذ :

﴿ قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ،  
 فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ : إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾<sup>(١٤٧)</sup>

وقد قال كثير من المفسرين ان هذا من كلام يوسف ، ومنهم من  
 لم يذكر الا هذا القول ، وهو قول في غاية الفساد ، ولادليل عليه ؛ بل  
 الادلة تدل على تقيضه ، وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا  
 الموضع .

و ( المقصود هنا ) ان ماتضمنته « قصة ذى النون » مما يلام عليه كله  
 مغفور بذله الله به حسنات ، ورفع درجاته ، وكان بعد خروجه من  
 بطن الحوت وتوبته اعظم درجة منه قبل ان يقع ما وقع ، قال تعالى :

(١٤٦) ايضا (١٢/٥٠-٥٣)

(١٤٧) ايضا (١٢/٥٤)

﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ  
 إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ  
 لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ  
 الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١٤٨)</sup>

وهذا بخلاف حال التقام الحوت فانه قال :

﴿ فَأَلْتَمَّةُ الْحُوتِ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾<sup>(١٤٩)</sup>

فاخبر انه في تلك الحال مليم ، و « المليم » الذى فعل ما يلام عليه ،  
 فاللام في تلك الحال لا في حال نبذه بالعراء وهو سقيم ، فكانت حاله  
 بعد قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ارفع  
 من حاله قبل ان يكون ما كان ، والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في  
 البداية ، والاعمال بخواتيمها .

والله تعالى خلق الانسان واخرجه من بطن امه لا يعلم شيئا ، ثم علمه  
 فنقله من حال النقص الى حال الكمال ، فلا يجوز ان يعتبر قدر الانسان  
 بما وقع منه قبل حال الكمال ، بل الاعتبار بحال كماله ، ويونس صلى الله عليه وسلم  
 وغيره من الأنبياء في حال النهاية حالهم اكمل الاحوال .

ومن هنا غلط من غلط في تفضيل الملائكة على الأنبياء والصالحين  
 فانهم اعتبروا كمال الملائكة مع بداية الصالحين وتقصمهم فغلطوا ؛  
 ولو اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد دخول الجنان ، ورضى الرحمن ،  
 وزوال كل ما فيه نقص وملام ، وحصول كل ما فيه رحمة وسلام ، حتى  
 استقر بهم القرار :

(١٤٨) سورة القلم (٤٨/٦٨-٥٠)

(١٤٩) سورة الصافات (٣٧/١٤٢)

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾<sup>(١٥٠)</sup>

فاذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلها على حال غيرهم من المخلوقين والا فهل يجوز لعامل ان يعتبر حال احدهم قبل الكمال في مقام المدح والتفضيل والبراءة من النقائص والعيوب .

ولواعتبر ذلك لاعتبر احدهم وهو نطفة ثم علقه ، ثم مضغة ، ثم حين تفخت فيه الروح ، ثم هو وليد ، ثم رضيع ثم فطيم ، الى احوال آخر ؛ فعمل ان الواحد في هذه الحال لم تقم به صفات الكمال التي يستحق بها كمال المدح والتفضيل ، وتفضيله بها على كل صنف وجيل ؛ وانما فضله باعتبار المال ، عند حصول الكمال .

### ( العبرة بالعاقبة في الأفضلية )

وما يظنه بعض الناس انه من ولد على الاسلام فلم يكفر قط أفضل من كان كافراً فأسلم ليس بصواب ؛ بل الاعتبار بالعاقبة وأبها كان أتقى لله في عاقبته كان أفضل . فانه من المعلوم ان السابقين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله بعد كفرهم هم افضل ممن ولد على الاسلام من اولادهم وغير اولادهم ؛ بل من عرف الشر وذاقه ، ثم عرف الخير وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبه له ، ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذوقها كما ذاقها ؛ بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف انه شر ، فاما ان يقع فيه ، وإما ان لا ينكره كما انكره الذي عرفه .



ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام  
عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية .

وهو كما قال عمر :

فان كمال الاسلام هو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتام ذلك  
بالجهاد فى سبيل الله . ومن نشأ فى المعروف لم يعرف غيره ، فقد لا يكون  
عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ، ولا يكون عنده من الجهاد  
لا هله ما عند الحبير بهم ، ولهذا يوجد الحبير بالشر واسبابه اذا كان حسن  
القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره .

ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم اعظم ايمانا وجهادا من بعدهم ،  
لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكال محبتهم للخير وبغضهم للشر ، لما  
علموه من حسن حال الاسلام والايمان والعمل الصالح ، وقبح حال  
الكفر والمعاصى ، ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف احرص على  
الغنى والصحة والأمن ممن لم يذوق ذلك . ولهذا يقال :

وَالضِدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ<sup>(١٥١)</sup>

ويقال<sup>(١٥٢)</sup> :

وَبِضِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لست بخبٍ ،  
ولا يخدعنى الخب .

---

(١٥١) هو عجز بيت صدره : ضَدَانُ لما استجمعا حسنا .

منسوب للبحترى

(١٥٢) عجز بيت صدره : ونذيمهم وبهم عرفنا فضله .

وهو لأبى الطيب المتنبي ، راجع ديوانه (٢٢/١) .

فالقلب السليم المحمود هو الذى يريد الخير لا الشر ، وكال ذلك بان يعرف الخير والشر ، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به .

وليس المراد ان كل من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون اعلم بذلك واكره له ممن لم يذوقه مطلقا ؛ فان هذا ليس بمُطَرَّد ، بل قد يكون الطبيب اعلم بالأمراض من المرضى ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء الأديان ، فهم اعلم الناس بما يُصلحُ القلوب ويُفسدها ، وان كان احدهم لم يذوق من الشر ماذاقه الناس .

ولكن المراد ان من الناس من يحصل له ، بذوقه الشر من المعرفة به ، والنفور عنه ، والمحبة للخير اذا ذاقه مالا يحصل لبعض الناس ، مثل من كان مشركا او يهوديا او نصرانيا ، وقد عرف مافى الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر ، ثم شرح الله صدره للاسلام ، وعرفه محاسن الاسلام ، فانه قد يكون ارغب فيه ، واكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والاسلام ، بل هو مُعَرَّض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا ، او مُقلِّد فى مدح هذا وذم هذا .

ومثال ذلك من ذاك طعم الجوع ثم ذاق طعم الشبع بعده ، او ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده ، او ذاق الخوف ثم ذاق الأمن بعده ، فان محبة هذا ورغبته فى العافية والأمن والشبع ، ونفوره عن الجوع والخوف والمرض اعظم ممن لم يُبْتَلْ بذلك ، ولم يعرف حقيقته .

وكذلك من دخل مع اهل البدع والفجور ، ثم بين الله له الحق وتاب عليه توبة نصوحا ، ورزقه الجهاد فى سبيل الله ، فقد يكون بيانه لحالمهم ، وهجره لمساوئهم ، وجهاده لهم اعظم من غيره .

قال نعم بن حماد الخزاعى — وكان شديدا على الجهمية — انا شديد عليهم ، لاني كنت منهم<sup>(١٥٣)</sup> .

(١٥٣) راجع «سير اعلام النبلاء» (١٠/٥٩٧) ، و«تاريخ بغداد» (١٣/٣٠٧) .

وقد قال الله تعالى :

﴿ تَمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١٥٤)</sup>.

نزلت هذه<sup>(١٥٥)</sup> الآية في طائفة من الصحابة كان المشركون فتنوهم عن دينهم ثم تاب الله عليهم ، فهاجروا الى الله ورسوله ، وجاهدوا وصبروا .

وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما من اشد الناس على الاسلام فلما اسما تقدما على من سبقهما الى الاسلام ، وكان بعض من سبقهما دونها في الايمان والعمل الصالح بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر لله ورسوله ، وكان عمر لكونه اكمل ايمانا واخلاصا وصدقا ومعرفة وفراسة ونورا ابعد عن هوى النفس واعلى همة في اقامة دين الله ، مقدا على سائر المسلمين ، غير ابي بكر رضى الله عنهم اجمعين .

وهذا وغيره مما يبين ان الاعتبار بكمال النهاية لا ينقص البداية .

وما يذكر في الاسرائيليات : « ان الله قال لداود : اما الذنب فقد غفرناه ، واما الود فلا يعود » فهذا لو عرفت صحته لم يكن شرعا لنا وليس لنا ان نبني ديننا على هذا ، فان دين محمد ﷺ في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع من قبله ، ولهذا قال :

« انا نبي الرحمة ، وانا نبي التوبة »<sup>(١٥٦)</sup>

وقد رفَع به من الاصار والاعلال ما كان على من قبلنا .

(١٥٤) سورة النحل (١٦/١١٠) وقى الاصل «والدير هاجروا» .

(١٥٥) راجع «اسباب النزول» للواحدى (٢٨٨-٢٨٩) و«تفسير الطبرى» (١٢٣/١٤-١٢٤) .

(١٥٦) اخرج مسلم في «صحيحه» (١٨٢٨/٢) عن ابي موسى الاشعري قال :

## ( فضيلة التوبة )

وقد قال تعالى في كتابه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾<sup>(١٥٧)</sup>

واخبر انه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب اعظم من فرح الفاقد لما يحتاج اليه من الطعام والشراب والركب اذا وجده بعد اليأس . فاذا كان هذا فرح الرب بتوبة التائب وتلك محبته ، كيف يقال : انه لا يعود لمودته :

﴿ وَهَوَّ الْغَفُورُ الْوَدُودَ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدَ ، فَعَالَ  
لَمَّا يُرِيدُ ﴾<sup>(١٥٨)</sup>

ولكن وده وحبّه بحسب ما يتقرب اليه العبد بعد التوبة ، فان كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة افضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة اعظم من مودته له قبل التوبة ، وان كان انقص كان الامر انقص ، فان الجزاء من جنس العمل ، وما ربك بظلام للعبيد .

وقد ثبت في الصحيح<sup>(١٥٩)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« يقول الله تعالى : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ »

= كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه ابناء فقال : «انا محمد ، واحمد ، والمقفي والحاشر ، وني التوبة ، وني الرحمة » .

واخرجه احمد في «مسنده»(٤٠٤/٤) والبيهقي في «دلائل النبوة»(١٥٧/١)

(١٥٧) سورة البقرة(٢/٢٢٢)

(١٥٨) سورة البروج(٨٥/١٤-١٦)

(١٥٩) اخرجه البخارى في الرقاق من «صحيحه»(٧/١٩٠)

بالحرب ، وما تقربَ الى عبدي بِمثل أداء ما افتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عِبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ مَعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا : فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ . . وَبِي يَمْشِي ، وَلَئِنْ سَأَلْنِي لِأَعْطِيَنَّكَ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّكَ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ .

ومعلوم ان افضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان اعظم محبة ومودة ، وكلما تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض احبهم وودهم .

وقد قال تعالى :

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَادًى تَمَّ مِنْهُمْ مَوَدَّةٌ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٠)

نزلت في المشركين<sup>(١٦١)</sup> الذين عادوا الله ورسوله مثل «اهل الاحزاب» كأبي سفيان بن حرب ، وأبي سفيان بن الحارث ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن ابي جهل ، وصفوان بن أمية ، وغيرهم . فانهم بعد معاداتهم لله ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسل والمؤمنين مودة ، وكانوا في ذلك متفاضلين . وكان عكرمة وسهيل والحارث بن

(١٦٠) سورة المتحنة (٧/٦٠)

(١٦١) راجع «اسباب النزول» (٤٤٩-٤٥٠) وانظر «تفسير ابن كثير» (٤/٣٤٩)

هشام أعظم مودةً من ابي سفيان بن حرب ونحوه ، وقد ثبت في الصحيح<sup>(١٦٢)</sup> :

« ان هند امرأة أبي سفيان أم معاوية قالت : والله يارسول الله ! ما كان على وجه الارض أهلُ خِباءٍ أحبُّ الىَّ ان يَدُلُّوا من اهل خِباثك ، وقد اصبحتُ وما على وجه الأرض أهل خِباءٍ أحبُّ الىَّ ان يَعِزُّوا من اهل خِباثك فذكر النبي ﷺ لها نحو ذلك . » .

## ( التوبة وسيلة للمغفرة والمودة )

ومعلوم ان المحبة والمودة التي بين المؤمنين انما تكون تابعة لحبهم لله تعالى ، فان اوثق عرى الايمان الحبُّ في الله ، والبغض في الله ، فالحب لله من كمال التوحيد ، والحب مع الله شرك ، قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾<sup>(١٦٣)</sup>

فتلك المودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين انما كانت مودة لله ومحبة لله ومن احب الله احبه الله ، ومن ود الله وده الله ، فعلم ان الله احبهم وودهم بعد التوبة ، كما احبوه وودوه ، فكيف يقال : ان التائب انما تحصل له المغفرة دون المودة ؟ ! .

---

(١٦٢) رواه البخارى في مناقب الانصار(٢٣٢/٤) وفي الايمان والذود(٢٢٠/٧) وفي الاحكام(١٠٩/٨) ومسلم في الاضية(١٣٣٩/٢ رقم ٩٨٠) والبيهقى في «دلائل النبوة»(١٠٠/٥) .

(١٦٣) سورة البقرة(١٦٥/٢)

وان قال قائل : اولئك كانوا كفارًا ، ولم يعرفوا ان ما فعلوه محرم ، بل كانوا جهالا ، بخلاف من علم ان الفعل محرم واتاه .

قيل : الجواب من وجهين :

احدها : انه ليس الأمر كذلك ، بل كان كثير من الكفار يعلمون ان محمدا رسول الله ، ويعادونه حسداً وكبراً وابوسفیان قدسمع من اخبار نبوة النبي ﷺ ما لم يسمع غيره ، كما سمع من امية بن ابى الصلت ، وما سمعه من هرقل ملك الروم<sup>(١٦٤)</sup> ، وقد اخبر عن نفسه انه لم يزل موقناً ان امر النبي ﷺ سيظهر حتى ادخل الله عليه السلام ، وهو كاره له ، وقد سمع منه عام اليرموك<sup>(١٦٥)</sup> وغيره ما دل على حسن اسلامه ومحبة الله ورسوله بعد تلك العداوة العظيمة .

وقد قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ  
يَلْقَ أَثَامًا ، يَضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ  
فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا  
فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿١٦٦﴾﴾

فاذا كان الله يبدل سيئاتهم حسنات فالحسنات توجب مودة الله لهم ، وتبديل السيئات حسنات ليس مختصا بمن كان كافرا ، وقد قال تعالى :

(١٦٤) قصة مقابلة ابى سفيان مع هرقل ومحدثه معه اخرجها البخارى فى «صحيحه» فى الايمان (٧-٥/١) .

(١٦٥) انظر «الاصابة» (١٧٣/٢)

(١٦٦) سورة الفرقان (٧٠-٦٨/٢٥)

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ  
 ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾<sup>(١٦٧)</sup>

قال ابوالمعالية : سألت أصحاب رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالوا  
 لى : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من  
 قريب<sup>(١٦٨)</sup>

الوجه الثانى : ان ما ذكر من الفرق بين تائب وتائب فى محبة الله  
 تعالى للتائبين فرق لا أصل له ، بل الكتاب والسنة يدل على ان الله يحب  
 التوابين ، ويفرح بتوبة التائبين ، سواء كانوا عالمين بأن ما أتوه ذنباً أو  
 لم يكونوا عالمين بذلك .

### ( ما يجب على التائب )

ومن علم ان ما أتاه ذنب ثم تاب فلا بد أن يُبدل وصفه المذموم  
 بالحمود ، فاذا كان يُبغض الحق فلا بد ان يُحبّه ، واذا كان يُحبُّ الباطل  
 فلا بد ان يُبغضه . فما يأتي به التائب من معرفة الحق ومحبته والعمل به ،  
 ومن بغض الباطل واجتنابه هو من الأمور التى يحبها الله تعالى  
 ويرضاها ، ومحبة الله كذلك بحسب ما يأتي به العبد من محابته ، فكل من  
 كان اعظم فعلا محبوب الحق كان الحق اعظم محبة له ، وانتقاله من  
 مكروه الحق الى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه من الباطل ، وقوة  
 حب ما انتقل اليه من حب الحق ، فوجب زيادة محبة الحق له ، ومودته

(١٦٧) سورة النساء(٤/١٧)

(١٦٨) اخرجه الطبرى فى «تفسيره»(٤/٢٩٨)



اياه ، بل يبدل الله سيئاته حسنات لانه بدل صفاته المذمومة بالمحمودة فيبدل الله سيئاته حسنات ، فان الجزاء من جنس العمل ، وحينئذ فاذا كان اتيان التائب بما يحبه الحق اعظم من اتيان غيره كانت محبة الحق له اعظم واذا كان فعله لما يوده الله منه اعظم من فعله له قبل التوبة كانت مودة الله له بعد التوبة اعظم من مودته له قبل التوبة ، فكيف يقال الود لا يعود .

وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول : ان الله لا يبعث نبيا الا من كان معصوما قبل النبوة ، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم ، وكذلك من قال انه لا يبعث نبيا الا من كان مومنا قبل النبوة ، فان هؤلاء توهموا ان الذنوب تكون تقصا وان تاب التائب منها ، وهذا منشأ غلطهم فن ظن ان صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما ، فان الذم والعقاب الذي يلحق اهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء اصلا ، لكن ان قدم التوبة لم يلحقه شيء ، وان آخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله .

## ( المبادرة بالتوبة )

والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة ، بل يسارعون اليها ، ويسابقون اليها ، لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك ، ومن آخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون عليه السلام هذا على المشهور ان القاءه كان بعد النبوة ، واما من قال ان القاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج الى هذا .

والتائب من الكفر والذنوب قديكون افضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب ، واذا كان قديكون افضل ، فالافضل احق بالنبوة ممن ليس

مثله في الفضيلة ، وقد اخبر الله عن اخوة يوسف بما اخبر من ذنوبهم وهم  
الاسباط الذين نبأهم الله تعالى وقد قال تعالى :

﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (١٦٩)

فآمن لوط لابراهيم عليه السلام ثم ارسله الله تعالى الى قوم لوط  
وقد قال تعالى في قصة شعيب :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ  
يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ  
فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ، قَدِ افْتَرَيْنَا  
عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ  
مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا  
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتُحِ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (١٧٠)

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا  
أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ  
الظَّالِمِينَ ، وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ  
خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (١٧١)

وإذا عرف ان الاعتبار بكمال النهاية ، وهذا الكمال انما يحصل بالتوبة  
والاستغفار ، ولا بد لكل عبد من التوبة وهي واجبة على الأولين  
والآخرين ، كما قال تعالى :

(١٦٩) سورة العنكبوت (٢٦/٢٩)

(١٧٠) سورة الاعراف (٨٩-٨٨/٧)

(١٧١) سورة ابراهيم (١٤-١٣/١٤)

﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾<sup>(١٧٢)</sup>

## ( توبة الانبياء )

وقدا خبر الله سبحانه بتوبة آدم ونوح ومن بعدهما الى خاتم المرسلين  
محمد ﷺ ، وآخر ما نزل عليه — او من آخر ما نزل عليه — قوله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ  
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ،  
أَنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾<sup>(١٧٣)</sup>

وفي الصحيحين<sup>(١٧٤)</sup> عن عائشة رضو الله عنها ان النبي ﷺ كان يكثر  
ان يقول في ركوعه وسجوده :

« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » يتأول  
القرآن .

وقدا نزل الله عليه قبل ذلك :

(١٧٢) سورة الاحزاب (٧٣/٢٣)

(١٧٣) سورة النصر (١١٠)

(١٧٤) اخرج به البخارى في الأذان (١٩٩/١) وفي التفسير (٩٣/٦) ومسلم في  
الصلاة (٣٥٠/١ رقم ٤٨٤) وابوداود في الصلاة (٥٤٦/١ رقم ٨٧٧) والنسائي (٢٢٠٠٠٢١٩/٢) وابن  
ماجة (٢٨٧/١ رقم ٨٨٩) واحمد في «المسند» (٤٩٠، ٤٣/٦) (١٩٠٠).

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ  
قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ ﴾<sup>(١٧٥)</sup>

وفي صحيح البخارى<sup>(١٧٦)</sup> عن النبي ﷺ انه كان يقول :

« يا ايها الناسُ تَوَبُّوا الى رَبِّكم فوالذى نفسى بيده  
انى لأستغفراللهَ واتوبُ اليه فى اليومِ اكثرَ من سبعين  
مرّةً . »

وفي صحيح مسلم<sup>(١٧٧)</sup> عن الاغر المزنى عن النبي ﷺ انه قال :

« اِنَّهُ لَيُغَانُ على قلبى . وانى لأستغفراللهَ فى اليومِ  
مائة مرّةً . »

وفي السنن<sup>(١٧٨)</sup> عن ابن عمر انه قال : كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ فى  
المجلس الواحد يقول :

« رَبِّ اغْفِرْ لى وَتُبْ علىَّ اِنَّكَ انتَ التَّوَابُ الغُفُورُ »  
مائة مرّةً .

(١٧٥) سورة التوبة(١١٧/٩)

(١٧٦) فى الدعوات(١٤٥/٧)

(١٧٧) فى الذكر(٢٠٧٥/٣) وانظر تخريجه فى «شعب الايمان» للبيهقى(الشعبة٤٧)

(١٧٨) اخرجه ابوداود فى الصلاة(١٧٨/٢)رقم١٥١٦) والترمذى فى الدعوات(٤٩٤/٥)رقم٣٤٣٤

وابن ماجة فى الأدب(١٢٥٣/٢)رقم٣٨١٤) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة»(رقم٤٥٨) .

واخرجه البخارى فى «الأدب المفرد»(١٦٢)رقم٦١٨) وابن حبان فى «صحيحه»(٢٤٥٩)

وفي الصحيحين<sup>(١٧٩)</sup> عن ابي موسى عن النبي ﷺ انه كان يقول :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَاسْرَافِي فِي أَمْرِي ،  
وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجَدِّي  
وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي  
مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ  
أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وفي الصحيحين<sup>(١٨٠)</sup> عن ابي هريرة انه قال : يا رسول الله ارأيت  
سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول ؟ قال : اقول :

« اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ  
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ تَقْنِيْ مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنْقِي  
الثَّوْبَ الْأَبْيَضُ مِنَ السَّدَنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ  
خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ » .

وفي صحيح مسلم<sup>(١٨١)</sup> وغيره انه كان يقول : نحو هذا اذا رفع راسه من  
الركوع .

(١٧٩) احرجه البخارى في الدعوات (١٦٦/٧) ومسلم في الذكر (٢٠٨٧/٣ رقم ٧٠)

(١٨٠) احرجه البخارى في الآداب (١٨٠/١) ومسلم في المساجد (٤١٩/١ رقم ١٤٦)

واحرجه ايضا اسوداود في الصلاة (٤٩٣/١ رقم ٧٨١) والسائى (١٢٩/٢) وان  
ماحة (٢٦٤/١ رقم ٥٠٨) واحمد (٤٩٤/٢)

(١٨١) اخرج مسلم (٣٤٧-٣٤٧ رقم ٢٠٤) عن عبدالله بن ابي اوفى ان السى ﷺ كان يقول .

اللهم لك الحمد ملء السماء ، وملء الأرض ، وملء ما نشئت من شيء بعد ، اللهم  
طهرنى بالثلج والبرد والماء السارد ، اللهم طهرنى من الدنوب والخطايا كما ينقى  
التوب الأبيض من الوسخ « واحرجه احمد في «المسند» (٣٥٤/٤)

وفي صحيح مسلم<sup>(١٨٢)</sup> عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه كان يقول في دعاء الاستفتاح :

« اللهم ! انتَ الْمَلِكُ لا اله الا انتَ ، انتَ رَبِّي وانا عبدك ، ظلمتُ نَفْسِي وعملتُ سوءا فاغفرْ لي فانه لا يغفرُ الذُّنُوبَ الا انتَ ، واهدني لأحسنِ الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا انتَ ، واضرفْ عني سيئها لا يصرِفُ عني سيئها الا انتَ . »

وفي صحيح مسلم<sup>(١٨٣)</sup> عن النبي ﷺ انه كان يقول في سجوده :

« اللهم ! اغفرْ لي ذنبي كُلَّهُ دِقَّةً وجِلَّةً ، علانيتَه وسره ، أوْلَه وأخره . »

وفي السنن<sup>(١٨٤)</sup> عن علي ان النبي ﷺ اتى بدابة ليركبها وانه حمدالله وقال :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ  
وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾

ثم كبره وحمده ثم قال :

« سُبْحَانَكَ ظلمت نفسي فاغفرْ لي فانه لا يغفرُ الذُّنُوبَ

(١٨٢) راجع التعليق رقم (٤٠)

(١٨٣) في كتاب الصلاة (٣٥٠/١ رقم ٢١٦) عن ابي هريرة .

واخرجه ابوداود (٥٤٧/١ رقم ٨٧٨) .

(١٨٤) اخرجه ابوداود في الجهاد (٣/٧٧ رقم ٢٦٠٢) والترمذي في الدعوات (٥٠١/٥ رقم ٣٤٤٦)

والنسائي في «عمل اليوم والليله» (٥٠٢) وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٨٠، ٢٣٨١ - موارد) والحاكم في «المستدرک» (٩٨/٢ - ٩٩) وصححه ، والبيهقي في «السنن» (٢٥٢/٥) .

الا انت ، ثم ضحك ! وقال ان الرب يعجب من عبده  
اذا قال اغفرلى ، فانه لا يغير الذنوب الا انت ، يقول  
علم عبدي انه لا يغير الذنوب الا انا .

وقد قال تعالى :

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(١٨٥)</sup>

وقال :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ  
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾<sup>(١٨٦)</sup>

وثبت في الصحيحين<sup>(١٨٧)</sup> في حديث الشعاعة :

« ان المسيح يقول : اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له  
ما تقدم من ذنبه وما تأخر . »

وفي الصحيح<sup>(١٨٨)</sup> :

« ان النبي ﷺ كان يقوم حتى ترم قدماه ، فيقال  
له : اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك  
وما تأخر ؟ قال افلا اكون عبدا شكورا . »

(١٨٥) سورة محمد (١٩/٤٧)

(١٨٦) سورة المتح (٢-١/٤٨)

(١٨٧) جاءت هذه الحلة في حديث اس ارحه الحارى في التوحيد (١٧٣/٨) ومسلم في  
الايان (١٨٠/١ رقم ١٩٣) و ارحه البيهقى في «شعب الايمان» (رقم ٣٠٣) وراجع تخريجه  
هناك

(١٨٨) ارحه الحارى في التفسير من حديث المعيرة وعائشة (٤٤/٦)

ورواه البيهقى في «شعب الايمان» (الشمة ٣٣)

ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والاثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة .

## ( صدور الذنب من الانبياء )

لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف في هذا الباب . وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها انها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه . كتأويلهم قوله ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) المتقدم ذنب آدم والتأخر ذنب امته وهذا معلوم البطلان ويدل على ذلك وجوه :

( احدها ) أن آدم قد تاب الله عليه قبل ان ينزل إلى الأرض فضلاً عن عام الحديبية الذي انزل الله فيه هذه السورة قال تعالى :

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾<sup>(١٨٩)</sup>

وقال :

﴿ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(١٩٠)</sup>

وقد ذكر انه قال :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١٩١)</sup>

(١٨٩) سورة طه (٢٠/١٢١-١٢٢)

(١٩٠) سورة البقرة (٢/٣٧)

(١٩١) سورة الاعراف (٧/٢٣)



و ( الثاني ) ان يقال : فآدم عندكم من جملة موارد النزاع ولا يحتاج ان يغفر له ذنبه عند المنازع فانه نبي ايضاً ، ومن قال : إنه لم يصدر من الأنبياء ذنب يقول ذلك عن آدم ومحمد وغيرها .

الوجه ( الثالث ) ان الله لا يجعل الذنب ذنباً لمن لم يفعله فانه هو القائل :

﴿ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾<sup>(١٩٢)</sup>

فن الممتنع ان يضاف الى محمد ﷺ ذنب آدم ﷺ أو امته أو غيرها . وقد قال تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَحْمِلٌ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ ۗ ﴾<sup>(١٩٣)</sup>

وقال تعالى :

﴿ فِقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۗ ﴾<sup>(١٩٤)</sup>

ولوجاز هذا الجاز ان يضاف الى محمد ذنوب الأنبياء كلهم ، ويقال : إن قوله :

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۗ ﴾<sup>(١٩٥)</sup>

المراد ذنوب الأنبياء وامهم قبلك ، فانه يوم القيامة يشفع للخلائق كلهم ، وهو سيد ولد آدم ، وقال :

---

(١٩٢) سورة فاطر (١٨/٣٥)

(١٩٣) سورة النور (٥٤/٢٤)

(١٩٤) سورة النساء (٨٤/٤)

(١٩٥) سورة الفتح (٢/٤٨)

« انا سيد ولد آدم ولا فخر و آدم فمن دونه تحت لوائى  
يوم القيامة ، انا خطيب الأنبياء إذا وفدوا ،  
وإمامهم إذا اجتمعوا »<sup>(١١٦)</sup>

وحينئذٍ فلا يختص آدم باضافة ذنبه الى محمد ، بل تجعل ذنوب الأولين  
والآخرين على قول هؤلاء ذنوباً له . فان قال : ان الله لم يعمر ذنوب  
جميع الامم ، قيل : وهو ايضاً لم يغفر ذنوب جميع امته .

الوجه ( الرابع ) انه قدميز بين ذنبه وذنوب المؤمنين بقوله :

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾<sup>(١١٧)</sup>

فكيف يكون ذنب المؤمنين ذنباً له .

(١١٦) لم احده بهذا اللفظ وروى الترمذى عن اس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ  
انا اول الناس حروخاً اذا نعتوا ، وانا حطيمهم اذا وفدوا ، وانا مترهم اذا ايسوا ،  
لواء الحمد يومئذ بيدي ، وانا اكرم ولد آدم على رنى ولا فخر  
وقال ابو عيسى هذا حديث حس عريب (٥/٥٨٥ رقم ٢٦١٠)

واحرجه السيتهى فى «الدلائل» (٥/٤٨٤) وذكره الالبانى فى «صعيف الجامع  
الصغير» (١٤٠٦) وروى الترمذى عن ابى سعيد (٥/٥٨٧ رقم ٣٦١٥) قال قال رسول الله  
ﷺ

«اناسيد ولد آدم يوم القيامة ، ويدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نى يومئذ آدم  
من سواه الا تحت لوائى وانا اول من تستق عنه الارض ولا فخر»

واحرجه احمد (٢/٣) وابن ماحه (٢/١٤٤٠ رقم ٤٣٠٨) وراعى «الصحيحه» (١٥٧١)

واحرى الترمذى ايضاً (٥/٥٨٦ رقم ٣٦١٣) عن ابى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ

«ادا كان يوم القيامة كست امام السيين وحطيمهم ، وصاحب تماعتهم ولا فخر»

ورواه احمد (٥/١٣٧ رقم ١٣٨٠) وابن ماحه (٢/١٤٤٣ رقم ٤٣١٤) والحاكم (٢/٤٠٧١ رقم ٧٨)

(١١٧) سورة محمد (١٩/٤٧)

الوجه ( الخامس ) انه ثبت في الصحيح<sup>(١٩٨)</sup> ان هذه الآية لما نزلت قال الصحابة يا رسول الله ! هذا لك فما لنا فأنزل الله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾<sup>(١٩٩)</sup>

فدل ذلك على ان الرسول والمؤمنين علموا ان قوله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ مختص به دون امته .

الوجه ( السادس ) ان الله لم يغفر ذنوب جميع امته بل قد ثبت ان من امته من يعاقب بذنوبه اما في الدنيا واما في الآخرة ، وهذا مما تواتر به النقل واخبر به الصادق المصدوق واتفق عليه سلف الامة وائمتها ، وشوهد في الدنيا من ذلك ما لا يحصيه الا الله ، وقد قال الله تعالى :

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِ بِهِ ﴾<sup>(٢٠٠)</sup>

والاستغفار والتوبة قديكونان من ترك الافضل . فمن نقل الى حال افضل مما كان عليه قديتوب من الحال الاول ؛ لكن الذم والوعيد لا يكون الا على ذنب .



- (١٩٨) اخرجه البخارى في المغازى(٦٦/٥) ومسلم باختصار في الجهاد(١٤١٣/٢)رقم(٩٧)
- واخرجه الترمذى(٣٨٥/٥-٣٨٦-٣٨٦)رقم(٣٢٦٣) واحمد(١٢٢/٣، ١٣٤، ١٣٤، ١٧٣، ١٩٧، ٢١٥، ٢٥٢) وابويعلى في «مسنده»(٣٠٨/٥)رقم(٢٩٣٢:٣٨٥)رقم(٤٧٢، ٣٠٤، ٤٧٢، ٢١٠/٦:٣٢٠)رقم(٣٢٥٢) والطبرى في «تفسيره»(٦٩/٢٦) والواحدى في «اسباب النزول»(٤٠٤-٤٠٥) والبيهقى في «السنن»(٢٢٢/٩) .
- (١٩٩) سورة الفتح(٤/٤٨)
- (٢٠٠) سورة النساء(١٢٣/٤)

## فصل ( لا بد للمغفرة من التوبة )

وأما قول السائل : هل الاعتراف بالخطيئة بمجرد مع التوحيد موجب لغفرانها وكشف الكربة الصادرة عنها ، أم يحتاج الى شيء آخر ؟ .

فجوابه : ان الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها ، فان الشرك لا يغفره الله الا بتوبة ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(١)</sup>

في موضعين من القرآن ومادون الشرك فهو مع التوبة مغفور ، وبدون التوبة معلق بالمشيئة . كما قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة النساء(٤/٤٨، ١١٦)

(٢) سورة الزمر(٣٩/٥٣)

فهذا في حق التائبين ، ولهذا عم واطلق ، وحم انه يغفر الذنوب جميعا ، وقال في تلك الآية : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فخص مادون الشرك وعلقه بالمشيئة فاذا كان الشرك لا يغفر الا بتوبة ، وأما مادونه فيغفره الله للتائب ، وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء .

فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد ان كان متضمنا للتوبة أوجب المغفرة ، واذا غفر الذنب زالت عقوبته ، فان المغفرة هي وقاية شر الذنب .

ومن الناس من يقول الغَفْرُ : الستر ، ويقول : انما سمي المغفرة والغفار لما فيه من معنى الستر ، وتفسير اسم الله الغفار بانه الستار ، وهذا تقصير في معنى الغفر ، فان المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غَفَرَ ذنبه لم يعاقب عليه ، واما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن ، ومن عُوِّقِبَ على الذنب باطنا او ظاهرا فلم يغفر له ، وانما يكون غفران الذنب اذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب .

وأما اذا ابتلى مع ذلك بما يكون سببا في حقه لزيادة اجره فهذا لا ينافي المغفرة .

وكذلك اذا كان من تمام التوبة ان ياتي بحسنات يفعلها ، فان ما يشرط في التوبة من تمام التوبة ، وقد يظن الظان انه تائب ولا يكون تائبا بل يكون تاركا ، والتارك غير التائب ، فانه قد يعرض عن الذنب لعدم خطوره بباله او المقتضى لعجزه عنه ، او تنتفى ارادته له بسبب غير ديني ، وهذا ليس بتوبة . بل لا بد من ان يعتقد انه سيئة ويكره فعله لنهي الله عنه ويدعه لله تعالى ، لالرغبة مخلوق وللرهبة مخلوق ، فان التوبة من اعظم الحسنات ، والحسنات كلها يُشترط فيها الاخلاص لله وموافقة امره ، كما قال الفضيل بن عياض<sup>(3)</sup> في قوله :

(3) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي (م ١٨٧هـ)

## ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾<sup>(٤)</sup>

قال اخلصه واصوبه ، قالوا يا ابا على ! ما اخلصه واصوبه ؟ قال : انّ العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا . والخالص ان يكون لله ، والصواب ان يكون على السنة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى دعائه : اللهم اجعل على كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .  
وبسط الكلام فى التوبة له موضع آخر .

## ( الاعتراف فقط لا يكفى )

وأما الاعتراف بالذنب على وجه الخضوع لله من غير إقلاع عنه فهذا فى نفس الاستغفار المجرّد الذى لا توبة معه ، وهو كالذى يسأل الله تعالى ان يغفر له الذنب مع كونه لم يتب منه ، وهذا يأس من رحمة الله ، ولا يقطع بالمغفرة له فانه داع دعوة مجردة ، وقد ثبت فى الصحيحين<sup>(٥)</sup> عن النبي ﷺ انه قال :

« ما من داع يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة »

= من كبار الزهاد ومشايخ الصوفية

له ترجمته فى «طبقات الصوفية» (٤-١١) «الحلية» (٨-٨٤-١٤٠) و«السير» (٨-٤٢١-٤٤٢)

وانظر قوله فى «الحلية» (٨/٩٥) .

(٤) سورة الملك (٦٧/٢)

(٥) لم يخرجاه بهذا اللفظ بل عندهما من حديث ابى هريرة «ستجاب لاحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لى» (البخارى فى الدعوات ٧/١٥١؛ ومسلم فى =

رحم الا كان بينَ احدي ثلاث : اما ان يُعَجَّلَ له  
دعوته ، واما ان يُدَخَّرَ له من الجزاء مثلها ، واما  
ان يصرف عنه من الشرِّ مثلها ، قالوا يارسول الله اذا  
نُكِّثَ . قال : الله اكثر .

فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة واذا لم تحصل ، فلا بد ان يحصل  
معه صرف شر آخر او حصول خير آخر ، فهو نافع كما ينفع كل دعاء .

وقول من قال من العلماء الاستغفار مع الاصرار توبةً الكذابين ، فهذا  
اذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة او يدعى ان استغفاره توبة ،  
وانه تائب بهذا الاستغفار فلاريب انه مع الاصرار لا يكون تائباً ، فان  
التوبة والاصرار ضدان : الاصرار يصاد التوبة . لكن لا يصاد الاستغفار

الذكر ٢٠٩٥/٣ رقم ٩٠-٩١) وفي لفظ عند مسلم (رقم ٩٢) «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم  
ولا قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل يارسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : دعوت  
ودعوت فلم ار يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»

نعم روى الترمذى في الدعوات من «جامعه» (٥٦٦/٥ رقم ٣٥٧٣) عن عباد بن الصامت ان  
رسول الله ﷺ قال : «ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها أو صرف  
عنه من سوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم» فقال رجل من القوم اذا نُكِّثَ .  
قال : «الله اكثر» .

واخرج احمد في «المسند» (١٨/٣) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله  
ﷺ :

«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث  
اما ان تعجل له دعوته ، واما ان يدخرها له فى الآخرة ، واما ان يصرف عنه من سوء  
مثلها» . قالوا : اذا نُكِّثَ . قال : «الله اكثر» .

واخرجه ابو يعلى فى «مسنده» (٢٩٦/٢ رقم ١٠١٩) والحاكم (٤٩٣/١) وصححه وواقفه الذهبى .  
وذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٤٨/١٠-١٤٩) وقال : رواه احمد وابو يعلى والبخارى  
والطبرانى فى «الوسط» . ورجال احمد وابو يعلى واحد اسنادى البخارى رجاله  
رجال الصحيح غير على بن على الرفاعى وهو ثقة .

وراجع «فتح البارى» (٩٥/١١) .

## بدون التوبة .

وقول القائل : هل الاعتراف بالذنب المعين يوجب دفع ما حصل  
بذنوب متعددة ام لا بد من استحضار جميع الذنوب ؟

فجواب هذا مبني على اصول :

(احدهما) ان التوبة تصحُ من ذنب مع الاصرار على ذنب آخر اذا كان  
المقتضى للتوبة من احدهما اقوى من المقتضى للتوبة من الآخر ، او كان  
المانع من احدهما اشدّ ، وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف .

وذهب طائفة من اهل الكلام كأبي هاشم<sup>(٦)</sup> الى ان التوبة لاتصحُ من  
قبیح مع الاصرار على الآخر ، قالوا : لأن الباعث على التوبة ان لم يكن  
من خشية الله لم يكن توبة صحيحة ، والخشية مانعة من جميع الذنوب  
لامن بعضها ، وحكى القاضي ابو يعلى<sup>(٧)</sup> وابن عقيل<sup>(٨)</sup> هذا رواية عن احمد ،

(٦) ابو هاشم ، عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجبائي (م٣٢١هـ)

عالم بالكلام ، من كبار المعتزلة . له آراء انفرد بها . وتبعته فرقة سميت «البهشية» وله  
مصنفات .

راجع «تاريخ بغداد» (٥٥/١١) «وفيات الاعيان» (١٨٣/٣) «البداية والنهاية» (١١/١١٧٦)  
«ميزان الاعتدال» (١٣١/٢) «الفرق بين الفرق» (١٦٩) .

(٧) القاضي ابو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد البغدادي ،  
الحنبلي (م٤٥٨هـ)

الامام العلامة ، شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف المفيدة في المذهب . انتهت اليه  
الامامة في الفقه ، وكان عالم العراق في زمانه مع معرفة لعلوم القرآن وتفسيره .

له ترجمة في «تاريخ بغداد» (٢٥٦/٢) «طبقات الحنابلة» (١٩٣/٢-٢٣٠) «السير» (١٨/٨٩-٩٠)  
«الوافي» (٣/٧-٨) «البداية والنهاية» (١٢/٩٤-٩٥) «شذرات الذهب» (٣/٣٠٦-٣٠٧) .

(٨) ابن عقيل ، ابو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي (م٥١٣هـ)

الامام العلامة ، الحنبلي المتكلم ، صاحب التصانيف . كانه يتوقد ذكاء ، وكان بحر  
معارف وكثر فضائل ، لم يكن له نظر في زمنه .



لأن المروزي<sup>(٩)</sup> نقل عنه انه سئل عن تاب من الفاحشة وقال : لومرَضْتُ  
لم أعُدْ لكن لا يدع النظر ، فقال احمد : اى توبة ذه ؟ قال جرير بن  
عبدالله سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال :

« اصرف بصرَكَ »<sup>(١٠)</sup>

والمعروف عن احمد وسائر الائمة هو القول بصحة التوبة ، واحمد فى  
هذه المسألة انما اراد ان هذه ليست توبة عامة يحصل بسببها من التائبين  
توبة مطلقا ، لم يرد ان ذنب هذا كذنب المصر على الكبائر ، فان نصوصه  
المتواترة عنه واقواله الثابتة تنافى ذلك ، وحمل كلام الامام على ما يصدق  
بعضه بعضا اولى من حمله على التناقض ، لاسيا اذا كان القول الآخر

= قال ابن الاثير : كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حديثه على بن الوليد ، فاراد الخنابلة  
قتله ، فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم اظهر التوبة .

له ترجمة فى «طبقات الخنابلة» (٢٥٩/٢) «الكامل» فى التاريخ (٥٦١/١٠)  
«السير» (٤٤٣/١٩-٤٥١) «الميزان» (١٤٦/٣) «لسان الميزان» (٢٤٤-٢٤٣/٤) «ذيل طبقات  
الخنابلة» (١٦٥-١٤٢/١) .

(٩) المروزي = نسبة الى مَرَوْ الرُّوذ ، بلدة حسنة مبنية على وادى مرو . والوادى بالمعجمية  
«رود» فركبوا عن اسم البلد الذى ماؤه فى هذا الوادى والبلد اسما وقالوا «مرو الروذ»  
والنسبة اليها «المرو الروذى» ويقال «المروذى» للتخفيف .  
وهو ابوبكر احمد بن محمد الحجاج بن عبدالعزيز (م٢٧٥هـ)

صاحب الامام احمد ، والمقدم من اصحابه لورعه وفضله . وكانت امه مروذية وابوه  
خوارزميا . روى عن الامام مسائل كثيرة .

ترجمته فى «تاريخ بغداد» (٤٢٥-٤٢٣/٤) «الأنساب» (٢٠٢-٢٠١/١٢) «طبقات  
الخنابلة» (٦٣-٥٦/١) «التذكرة» (٦٣٣-٦٣١/٢) «السير» (١٧٦-١٧٣/١٣) «الوافى» (٣٩٣/٧)  
«شذرات» (١٦٦/٢) .

(١٠) رواه ابوداود فى النكاح ٦٠٩/٢ رقم ٢١٤٨ واحمد فى «المسند» (٣٦١/٤)

واخرجه مسلم فى الأدب (١٦٩٩/٢ رقم ٤٥) والترمذى فى الآداب (١٠١/٥ رقم ٢٧٧٦)

واحمد فى «المسند» (٣٥٨/٤) بلفظ «فامرني ان اصرف بصرى» .

مبتدعا لم يعرف عن احد من السلف ، واحد يقول : إياك ان تتكلم في مسألة ليس لك فيها امام ، وكان في المحنة يقول : كيف أقول ما لم يُقل ؟  
واتباع احمد للسنة والآثار وقوة رغبته في ذلك ، وكراهته لخلافه من الامور المتواترة عنه يعرفها من يعرف حاله من الخاصة والعامه .

وماذكروه من ان الخشية توجب العموم .

فجوابه انه قد يعلم قبح أحد الذنوب دون الآخر ، وانما يتوب مما يعلم قبحه .

(وايضا) فقد يعلم قبحها ولكن هواه يغلبه في احدهما دون الآخر فيتوب من هذا دون ذلك ، كمن ادى بعض الواجبات دون بعض ، فان ذلك يقبل منه .

ولكن المعتزلة لهم اصل فاسد وافقوا فيه الخوارج في الحكم وان خالفوهم في الاسم ، فقالوا : ان اصحاب الكبائر يُخلّدون في النار ولا يخرجون منها بشفاعه ولا غيرها ، وعندهم يتنع ان يكون الرجل الواحد ممن يعاقبه الله ثم يشبهه ، ولهذا يقولون : مجبوط جميع الحسنات بالكبيرة .

واما الصحابة واهل السنة والجماعة فعلى ان اهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم ، وان الكبيرة الواحدة لا تُحبط جميع الحسنات ، ولكن قد يُحبط ما يقابلها عند اكثر اهل السنة ، ولا يحبط جميع الحسنات الا الكفر ، كما لا يحبط جميع السيئات الا التوبة ، فصاحب الكبيرة اذا أتى بحسنات يبتغى بها رضا الله أثابه الله على ذلك ، وان كان مستحقا للعقوبة على كبريته .

وكتاب الله عزوجل يفرق بين حكم السارق والزاني وقتال المؤمنين بعضهم بعضا ، وبين حكم الكفار في الاسماء والأحكام ، والسنة المتواترة عن النبي ﷺ واجماع الصحابة يدل على ذلك ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع .

وعلى هذا تنازع الناس في قوله :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(١١)</sup>

فعلى قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة الا من اتقاه مطلقا فلم يأت كبيرة ، وعند المرجئة انما يتقبل من اتقى الشرك ، فجعلوا اهل الكبائر داخلين في اسم «المتقين» ، وعند اهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه فعمله خالصا لله موافقا لأمرالله ، فمن اتقاه في عمل تقبله منه ، وان كان عاصيا في غيره ، ومن لم يتقّه فيه لم يتقبله منه وان كان مطيعا في غيره .

## ( التوبة من بعض الذنوب دون بعض تصحّ )

والتوبة من بعض الذنوب دون بعض كفعل بعض الحسنات المأمور بها دون بعض اذا لم يكن المتروك شرطا في صحة المفعول كالايمان المشروط في غيره من الاعمال ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾<sup>(١٢)</sup>

وقال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾<sup>(١٣)</sup>

(١١) سورة المائدة(٢٧/٥)

(١٢) سورة الاسراء(١٩/١٧)

(١٣) سورة النمل(٩٧/١٦) وفي الاصل «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى...»

وقال :

﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ  
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(١٤)</sup>

## ( هل الكافر يحتاج الى توبة ؟ )

(الاصل الثاني) ان من له ذنوب فتاب من بعضها دون بعض فان التوبة انما تقتضى مغفرة ماتاب منه ، أما ما لم يتب منه فهو باقٍ فيه على حكم من لم يتب ، ولا على حكم من تاب ، وما علمت في هذا نزاعا الا في الكافر اذا اسلم ، فان اسلامه يتضمن التوبة من الكفر فيغفر له بالاسلام الكفر الذى تاب منه ، وهل تُغفر له الذنوب التى فعلها في حال الكفر ولم يتب منها في الاسلام ؟ هذا فيه قولان معروفان .

(احدهما) يغفر له الجميع ، لاطلاق قوله ﷺ :

« الاسلام يهدم ما كان قبله » رواه مسلم<sup>(١٥)</sup>

مع قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا  
قَدْ سَلَفَ ﴾<sup>(١٦)</sup>

(١٤) سورة البقرة (٢١٧/٢)

(١٥) في الايمان من «صحيحه» (١١٢/١) رقم (١٩٢)

(١٦) سورة الانفال (٢٨/٨)

(والقول الثاني) انه لا يستحق ان يغفر له بالاسلام الا ماتاب منه .  
 فاذا اسلم وهو مصر على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم امثاله من  
 اهل الكبائر ، وهذا القول هو الذى تدل عليه الاصول والنصوص . فان  
 الصحيحين<sup>(١٧)</sup> ان النبي ﷺ قال له حكيم بن حزام يارسول الله ! أتؤاخذ  
 بما عملنا في الجاهلية ؟ فقال :

« من أحسنَ منكم في الاسلام لم يُؤاخذ بما عملَ في  
 الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أُخِذَ بالاول  
 والآخر » .

فقد دل هذا النص على انه انما ترفع المؤاخذة بالاعمال التي فعلت في  
 حال الجاهلية عن احسن لاعن لا يحسن ، وان لم يحسن اخذ بالاول  
 والآخر ، ومن لم يتب منها فلم يحسن .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ  
 سَلَفَ ﴾<sup>(١٨)</sup>

يدل على ان المنتهى عن شيء يغفر له ماقد سلف منه ، لا يدل على  
 ان المنتهى عن شيء يغفر له ماسلف من غيره ؛ وذلك لان قول القائل  
 لغيره : ان انتهيت غفرت لك ماتقدم ، ونحو ذلك يفهم منه عند  
 الاطلاق انك ان انتهيت عن هذا الامر غفرك ماتقدم منه ، وإذا  
 انتهيت عن شيء غفرك ماتقدم منه ، كما يفهم مثل ذلك في قوله :  
 « ان تبت » ، لا يفهم منه انك بالانتهاء عن ذنب يغفر لك ماتقدم من  
 غيره .

(١٧) رواه البخارى في استتابة المرتدين(٤٩/٨) ومسلم في الايمان(١١١/١) رقم(١٩٠)

واخرجه البيهقى في «شعب الايمان»(٢٣) وانظر تحريجه هناك .

(١٨) سورة الانفال(٣٨/٨)

واما قول النبي ﷺ : « الاسلام يهدم ما قبله » وفي رواية « يَجْبُ ما كان قبله » فهذا قاله لما سلم عمرو بن العاص وطلب ان يغفر له ماتقدم من ذنبه فقال له :

« يا عمرو اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله ، وان التوبة تهدم ما كان قبلها ، وان الهجرة تهدم ما كان قبلها »<sup>(١٩)</sup>

ومعلوم ان التوبة انما توجب مغفرة ماتاب منه ، لاتوجب التوبة غفران جميع الذنوب .

### ( التوبة المطلقة )

( الاصل الثالث ) ان الانسان قد يستحضر ذنوبًا فيتوب منها وقد يتوب توبة مطلقة لا يستحضر معها ذنوبه ، لكن اذا كانت نيته التوبة العامة فهي تتناول كل ما يراه ذنبًا ؛ لأن التوبة العامة تتضمن عزمًا عامًا بفعل المأمور وترك المحذور ، وكذلك تتضمن ندمًا عامًا على كل محذور .

و« الندم » سواء قيل : انه من باب الاعتقادات ، أو من باب الارادات ، أو قيل : انه من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب فعل ما يضرها ؛ فاذا استشعر القلب انه فعل ما يضره ، حصل له معرفة بان الذي فعله كان من السيئات ، وهذا من باب الاعتقادات ، وكرهية لما كان فعله ، وهو من جنس الارادات ؛ وحصل له أذى وغم لما كان فعله ؛ وهذا من باب الآلام ، كالغموم والاحزان ، كما ان الفرح والسرور هو من باب اللذات ليس هو من باب الاعتقادات والارادات .

(١٩) راجع «مسلم» (١/١١٢ رقم ١٩٢)

ومن قال من المتفلسفة ومن اتبعهم : إن اللذة هي ادراك الملائم من حيث هو ملائم ، وإن الألم هو ادراك المنافر من حيث هو منافر فقد غلط في ذلك . فان اللذة والألم حالان يتعقبان إدراك الملائم والمنافر فان الحب لما يلائمه ، كالطعام المشتهى مثلا له ثلاثة احوال :

( احدها ) الحب ، كالشهوة للطعام .

( والثاني ) ادراك المحبوب ، كأكل الطعام .

( والثالث ) اللذة الحاصلة بذلك ، واللذة أمر مغاير للشهوة ولذوق المشتهى ؛ بل هي حاصلة لذوق المشتهى ؛ ليست نفس ذوق المشتهى .

وكذلك « المكروه » كالضرب مثلا . فان كراهته شئ ، وحصوله شئ آخر ، والألم الحاصل به ثالث .

وكذلك ماللعارفين اهل محبة الله من النعيم والسرور بذلك ؛ فان حبه لله شئ ، ثم ما يحصل من ذكر المحبوب شئ ، ثم اللذة الحاصلة بذلك امر ثالث ، ولا ريب ان الحب مشروط بشعور المحبوب ، كان الشهوة مشروطة بشعور المشتهى ؛ لكن الشعور المشروط في اللذة غير الشعور المشروط في المحبة ، فهذا الثاني يسمى إدراكًا وذوقًا ونبلاً ووجدًا ووصالاً ، ونحو ذلك مما يعبر به عن ادراك المحبوب ، سواء كان بالباطن أو الظاهر ، ثم هذا الذوق يستلزم اللذة ، واللذة امر يحسه الحى باطنًا وظاهرًا .

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح<sup>(٢٠)</sup> :

« ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا »

(٢٠) أخرجه مسلم في الايمان (٦٢/١) وراجع «شعب الايمان» للبيهقي (رقم ١٩٥) لتخرجه .

وفي الصحيحين<sup>(٢١)</sup> عنه عليه السلام انه قال :

« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ  
كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ سَوَاهِمَا ، وَمَنْ كَانَ  
يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ  
فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي  
النَّارِ »

فبين عليه السلام ان ذوق طعم الايمان لمن رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينًا ،  
وبمحمد نبيًا ، وان وجد حلاوة الايمان حاصل لمن كان حبه لله ورسوله  
اشد من حبه لغيرهما ، ومن كان يحب شخصًا لله لغيره ، ومن كان  
يكره ضد الايمان ، كما يكره ان يلقي في النار ، فهذا الحب للايمان ،  
والكراهية للكفر استلزم حلاوة الايمان ، كما استلزم الرضى المتقدم ذوق  
طعم الايمان ، وهذا هو اللذة ، وليس هو نفس التصديق والمعرفة  
الحاصلة في القلب ، ولانفس الحب الحاصل في القلب ، بل هذا نتيجة  
ذاك وثمرته ولازم له ، وهى أمور متلازمة ، فلا توجد اللذة الا بحب  
وذوق ، وإلا فمن أحب شيئًا ولم يذق منه شيئًا لم يجد لذة ، كالذى يشتهي  
الطعام ولم يذق منه شيئًا ، ولو ذاق مالا يحبه لم يجد لذة ، كمن ذاق مالا  
يريده ، فاذا اجتمع حب الشيء وذوقه حصلت اللذة بعد ذلك .

وان حصل بغضه وذوق البغض حصل الألم ، فالذى يبغض الذنب  
ولا يفعله لا يندم ، والذى لا يبغضه لا يندم على فعله ، فاذا فعله وعرف  
ان هذا مما يبغضه ويضُرُّه ندم على فعله اياه ، وفي المسند عن ابن مسعود  
عن النبي عليه السلام انه قال :

(٢١) اخرجه البخارى في الاكراه (٥٦٨) ومسلم في الايمان (٦٦١ رقم ٦٧-٦٨)

واخرجه البيهقى في «شعب الايمان» (حديث رقم ٤٠١) وانظر تخريجه فيه .



## ( التوبة العامة )

إذا تبينَ هذا ، فمن تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلها ، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلا ان يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص ، مثل ان يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه ، لقوة ارادته اياه أو لاعتقاده انه حسن ليس بقبيح ، فما كان لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة ، وأما ما كان لو حضر بعينه لكان مما يتوب منه فان التوبة العامة شاملته .

وأما «التوبة المطلقة» وهي ان يتوب توبةً مجملّة ، ولا تستلزم التوبة من كل ذنب ، فهذه لا تُوجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق ، لكن هذه تصلح ان تكون سببا لغفران المعين ، كما تصلح ان تكون سببا لغفران الجميع ، بخلاف العامة فانها مقتضية للغفران العام ، كما تناولت الذنوب تناولا عاما .

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المتصفات بالفاحشة أو مقدماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد ، وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يجب لله عليه في باطنه وظاهره من شعب الايمان وحقائقه اعظم ضررا عليه مما فعله من بعض الفواحش ، فإن ما أمر الله به من

---

(٢٢) أخرجه احمد في «المسند» (١/٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣) والحاكم (٤/٢٤٣)

وأخرجه البيهقي في «شعب الايمان» في باب التوبة وهي الشعبة السابعة والاربعون .  
وراجع تخريج الحديث فيه .

حقائق الايمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقا ، اعظم نفعاً من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة ، كحبّ الله ورسوله ، فان هذا اعظم الحسنات الفعلية حتى ثبت في الصحيح<sup>(٢٣)</sup> : انه كان على عهد النبي ﷺ رجل يُدعى حمّازاً ، وكان يشربُ الخمرَ ، وكان كلما أتى به الى النبي ﷺ جَلَدَهُ الحَدَّ ، فلما كَثُرَ ذلك منه أتى به مرّة فأمَرَ بِجَلْدِهِ فلَعَنَهُ رجل فقال النبي ﷺ :

« لَا تَلْعَنُهُ فَانَهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

فنهى عن لعنه مع اصرار على الشرب لكونه يحب الله ورسوله ، مع انه ﷺ لعن في الخمر عشرة :

« لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والمحمولة اليه ، وبائعها ومبتاعها وأكل ثمنها »<sup>(٢٤)</sup>

ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لخوف اللعنة له .

وكذلك «التكفير المطلق» و «الوعيد المطلق» ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بثبوت شروط وانتفاء موانع ، فلا يلحق التائب من الذنب باتفاق المسلمين ، ولا يلحق من له حسنات تمحو سيئاته ، ولا يلحق المشفوع له ، والمغفور له ، فان الذنوب تزول عقوبتها التي هي جهنم بأسباب التوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة

(٢٣) رواه البخارى في الحدود من «صحيحه» (١٤/٨)

(٢٤) واخرجه ابوداود (٨١/٤-٨٢ رقم ٣٦٧٤) وابن ماجه (١١٢١/٢ رقم ٢٣٨٠) والحاكم في «المستدرک» (٣٢/٢) .

— لكنها من عقوبات الدنيا— وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة ، وكذلك ما يحصل في عرصات القيامة ، وتزول ايضا بدعاء المؤمنين : كالصلاة عليه وشفاعة الشفيح المطاع ، كمن يشفع فيه سيّد الشفعاء محمد ﷺ تسلياً .

وحينئذ فأىّ ذنب تاب منه ارتفع موجبُه ، ومالم يتب منه فله حكم الذنوب التي لم يتب منها ، فالشدة اذا حصلت بذنوب وتاب من بعضها خفف منه بقدر ماتاب منه ، بخلاف مالم يتب منه ، بخلاف صاحب التوبة العامة .

والناس في غالب احوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم الى ذلك ، فان التوبة واجبة على كل عبد في كل حال ، لانه دائماً يظهر له ما قرط فيه من ترك مأمور ، او ما اعتدى فيه من فعل محظور ، فعليه ان يتوب دائماً ، والله اعلم .

واما قول السائل : ما السبب في ان الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق ؟ وما الحيلة في صرف القلب عن التعلق بهم وتعلقه بالله ؟  
فيقال : سبب هذا تحقيق التوحيد : «توحيد الربوبية» و«توحيد الالهية» .

«فتوحيد الربوبية» انه لاخالق الاالله ، فلايستقل شيء سواه باحداث أمر من الأمور ، بل ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فكل ماسواه اذا قدر سبباً فلايد له من شريك معاون وضد معوق ، فاذا طلب مما سواه إحداث أمر من الأمور طلب منه مالايستقل به ولايقدر وحده عليه ، حتى ما يطلب من العبد من الافعال الاختيارية لايفعلها الا باعانةالله له ، كأن يجعله فاعلاً لها بما يخلقه فيه من الارادة الجازمة ويخلقه له من القدرة التامة ، وعند وجود القدرة التامة والارادة الجازمة يجب وجود

فشيئة الله وحده مستلزمة لكل ما يريد ، فإشَاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وما سواه لا تستلزم إرادته شيئاً ، بل ما أَرَادَه لا يكون إلا بأمر خارجة عن مقدوره ان لم يُعِنه الربُّ بها لم يحصل مراده ، ونفس ارادته لا تحصل الا بمشيئة الله تعالى ، كما قال تعالى :

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢٥)</sup>

وقال تعالى :

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾<sup>(٢٦)</sup>

وقال :

﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، وَمَا يَنْذُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾<sup>(٢٧)</sup>

والراجي لمخلوق طالب بقلبه لما يريد من ذلك المخلوق ، وذلك المخلوق عاجز عنه ، ثم هذا من الشرك الذي لا يغفره الله ، فمن كمال نعمته وإحسانه الى عباده المؤمنين ان يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم الى التوحيد ، ثم ان وحده العبد توحيد الالهية حصلت له سعادة الدنيا والآخرة .

(٢٥) سورة التكوير(٢٨/٨١-٢٩)

(٢٦) سورة الدهر(٢٨/٧٦-٣١)

(٢٧) سورة المدثر(٧٤/٥٦-٥٥)

وان كان ممن قيل فيه :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ، كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨)

وفي قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ ، فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (٢٩)

كان ما حصل له من وحدانيته حجة عليه .

كما احتج سبحانه على المشركين الذين يقرون بانه خالق كل شئ ثم يشركون ولا يعبدونه وحده لاشريك له ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ : اللهُ ، قُلْ : أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ قُلْ : مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟ سَيَقُولُونَ : اللهُ ، قُلْ : أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ قُلْ : مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ : اللهُ ، قُلْ : فَأَنى تُسْحَرُونَ ﴾ (٣٠)

(٢٨) سورة يونس(١٢/١٠)

(٢٩) سورة الاسراء(١٧/٦٧)

(٣٠) سورة المومنون(٢٣/٨٤-٨٩)

وقال تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ  
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾<sup>(٣١)</sup>

وهذا قد ذكر في القرآن في غير موضع .

فن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين ان يُنزلَ لهم الشدة والضُرَّ وما يلجئهم الى توحيده فيدعوونه مُخلصين له الدين ، ويرجونه لا يرجون احداً سواه ، وتتعلق قلوبهم به لا بعيره ، فيحصل لهم من التوكل عليه والانابة اليه . وحلاوة الايمان وذوق طعمه ، والبراءة من الشرك ما هو اعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف ، أو الجذب ، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة ، فان ذلك لذاتٌ بدنية ونعمٌ دنيوية قد يحصل للكافر منها اعظم مما يحصل للمؤمن .

واما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من ان يُعبر عن كنهه مقالاً ، أو يستحضر نفضيلَه بال ، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر ايمانه ، ولهذا قال بعض السلف : يا ابن آدم ! لقد بورك لك في حاجة اكثرت فيها من قرع باب سيدك .

وقال بعض الشيوخ : انه ليكون لى الى الله حاجة فادعوه فيفتح لى من لزيد معرفته وحلاوة مناجاته ما لا احب معه ان يُعجلَ قضاء حاجتى خشية ان تنصرف نفسى عن ذلك ؛ لأن النفس لا تريد الا حظها فاذا قضى انصرفت .

(٣١) سورة العنكبوت (٢٩) (٦١)

وفي بعض الاسرائيليات يابن آدم ! البلاء يجمع بينى وبينك ،  
والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

وهذا المعنى كثير ، وهو موجود مذوق محسوس بالحس الباطن  
للمؤمن ، وما من مؤمن الا وقد وجد من ذلك ما يعرف به ما ذكرناه ،  
فان ذلك من باب الذوق والحس لا يعرفه الا من كان له ذوق وحس  
بذلك .

ولفظ « الذوق » وان كان قديظن انه في الاصل مختص بذوق اللسان  
فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على انه اعم من ذلك مستعمل في  
الاحساس بالملائم والمنافر ، كما ان لفظ « الاحساس » في عرف الاستعمال  
عام فيما يحس بالحواس الخمس ، بل وبالباطن .

واما في اللغة فأصله « الرؤية » كما قال :

﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ﴾<sup>(٣٣)</sup>

(والمقصود ) لفظ « الذوق » قال تعالى :

﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾<sup>(٣٣)</sup>

فجعل الخوف والجوع مذوقًا ؛ واذاف اليها اللباس ليشعر انه لبس  
الجائع والخائف فشملة واحاط به احاطة اللباس باللباس ؛ بخلاف من  
كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع ، وقال تعالى :

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾<sup>(٣٤)</sup>

(٣٢) سورة مريم(١٩/٩٨)

(٣٣) سورة الحل(١٦/١١٢)

(٣٤) سورة الصافات(٣٧/٣٨) وفي الاصل «مذوقوا العذاب الالم» وليس في القرآن . نعم فيه  
«نذقه من عذاب اليم»(٢٢/٢٥)

وقال تعالى :

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾<sup>(٣٥)</sup>

وقال تعالى :

﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾<sup>(٣٦)</sup>

وقال :

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ ﴾<sup>(٣٧)</sup>

وقال تعالى :

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا  
وَعَسَاقًا ﴾<sup>(٣٨)</sup>

وقال :

﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأُدْنَىٰ ذُونَ الْعَذَابِ  
الْأَكْبَرِ ﴾<sup>(٣٩)</sup>

وقد قال النبي ﷺ :

« ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربًا وبالاسلام دينًا

---

(٣٥) سورة الدخان (٤٩/٤٤)

(٣٦) سورة القمر (٤٨/٥٤)

(٣٧) سورة الدخان (٥٦/٤٤)

(٣٨) سورة النبا (٢٥-٢٤/٧٨)

(٣٩) سورة السجدة (٢١/٣٢)



وبمحمد نبياً» (٤٠)

فاستعمال لفظ « الذوق » في ادراك الملائم والمنافر كثير . وقال النبي

ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان » (٤١) كما تقدم  
ذكر الحديث .

فوجود المؤمن حلاوة الايمان في قلبه وذوق طعم الايمان امر يعرفه  
من حصل له هذا الوجد .

وهذا الذوق ، اصحابه فيه يتفاوتون ، فالذى يحصل لاهل الايمان  
عند تجريد توحيد قلوبهم الى الله واقبالهم عليه دون ماسواه بحيث  
يكونون حُفَاءً له مخلصين له الدين ، لا يُحِبُّون شيئاً الا له ، ولا يتوكلون  
الا عليه ، ولا يوالون الا فيه ، ولا يعادون الا له ، ولا يسألون الا اياه ،  
ولا يرجون الا اياه ، ولا يخافون الا اياه ، يعبدونه ويستعينون له وبه ،  
بحيث يكونون عند الحق بلا خلق ، وعند الخلق بلا هوى ؛ قدفنييت  
عنهم ارادة ماسواه بارادته ، ومحبة ماسواه بمحبته ، وخوف ماسواه  
بخوفه ، ورجاء ماسواه برجائه ، ودعاء ماسواه بدعائه ، هو امر لا يعرفه  
بالذوق والوجد الا من له نصيب ، وما من مؤمن الا له منه نصيب .

وهذا هو حقيقة الاسلام الذى بعث الله به الرسل ، وانزل به الكتب  
وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه . والله سبحانه اعلم .



(٤٠) راجع التعليق رقم (٢٨٤)

(٤١) انظر التعليق رقم (٢٨٥)

## فهرس المباحث

|        |   |
|--------|---|
| ٥      | ١ كلمة الناشر                           |
| ٧      | ٢ سئل شيخ الاسلام                       |
| ٨      | ٣ معنى «الدعاء»                         |
| ١٠     | ٤ الدعاء والصلاة                        |
| ١٢     | ٥ المسألة والعبادة                      |
| ١٢     | ٦ الخوف والرجاء                         |
| ١٤     | ٧ العزائم تنفسخ عند وجود الحقائق        |
| ١٥     | ٨ ادعاء الصوفية المحو والفناء           |
| ١٦     | ٩ الدعاء عبادة ومسألة                   |
| ١٨     | ١٠ وجوه مختلفة للمسألة                  |
| ٢٠     | ١١ احسن طريق للسؤال                     |
| ٢٢     | ١٢ خصائص أدعية القرآن                   |
| ٢٣     | ١٣ لماذا كان دعاء ذى النون بصيغة الخبر؟ |
| ٢٣     | ١٤ تفسير «سبحانك»                       |
| ٢٥     | ١٥ معنى «لااله الا انت»                 |
| ٢٧     | ١٦ افضل الكلام عندالله                  |
| ١١٠-٢٣ | فصل                                     |
| ٢٣     | ١٧ «لم كانت كاشفة للكرب؟»               |
| ٢٤     | ١٨ الرجاء من الله وحده                  |

|     |  |
|-----|--|
| ٢٨  | ١٩ الدعاء لا يصلح إلا لله                              |
| ٤٠  | ٢٠ الاخلاص في الدين                                    |
| ٤٢  | ٢١ الصلة بين التوحيد والاستغفار                        |
| ٤٥  | ٢٢ توحيد الالهية وتوحيد الربوبية                       |
| ٤٧  | ٢٣ الفرق بين الحب لله والحب مع الله                    |
| ٤٨  | ٢٤ طاعة الرسول هي طاعة الله                            |
| ٥٠  | ٢٥ معنى «الايان»                                       |
| ٥٨  | ٢٦ الدين لا يكمل الا بالعمل                            |
| ٥٩  | ٢٧ تنوع دلالة الفاظ القرآن                             |
| ٦٢  | ٢٨ تحقيق توحيد الالهية                                 |
| ٦٣  | ٢٩ الفرق بين الرياء والعجب                             |
| ٦٦  | ٣٠ مال الله ورسوله ما يصرف في طاعة الله ورسوله         |
| ٦٧  | ٣١ دلائل خطأ رأى الفقهاء                               |
|     | ٣٢ العبادة والسؤال وسيلتان لتحقيق توحيد الألهية وتوحيد |
| ٧٠  | الربوبية   |
| ٧١  | ٣٣ الله والرب  |
| ٧٨  | ٣٤ عصمة الأنبياء                                       |
| ٧٩  | ٣٥ تنفيذ قصة الغرانيق                                  |
| ٨٥  | ٣٦ توبة الأنبياء واستغفارهم                            |
| ٨٨  | ٣٧ خطاء المفسرين                                       |
| ٩١  | ٣٨ العبرة بالعاقبة في الأفضلية                         |
| ٩٥  | ٣٩ فضيلة التوبة  |
| ٩٧  | ٤٠ التوبة وسيلة للمغفرة والمودة                        |
| ٩٩  | ٤١ ما يجب على التائب                                   |
| ١٠٠ | ٤٢ المبادرة بالتوبة                                    |
| ١٠٢ | ٤٣ توبة الأنبياء                                       |
| ١٠٧ | ٤٤ صدور الذنب من الأنبياء                              |

١٣٢-١١١

## فصل

١١١

٤٥ «لابد للمغفرة من التوبة»

١١٣

٤٦ الإعتراف فقط لا يكفي

١١٨

٤٧ التوبة من بعض الذنوب دون بعض تصح

١١٩

٤٨ هل الكافر يحتاج الى توبة ؟

١٢١

٤٩ التوبة المطلقة

١٢٤

٥٠ التوبة العامة

١٣٥-١٣٣

٥١ فهرس المباحث



صدر اخيراً  
من « الدار السلفية »  
الجزء الثاني من الموسوعة الحديثية الكبيرة  
« الجامع لشعب الايمان »  
للامام الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين  
البيهقى (م ٤٥٨هـ)  
بالتحقيق العلمى والتعليقات النافعة  
وتخرج الاحاديث .  
والجزء الثالث منه تحت الطبع





مطبع دار السلام

